الديستوبيا : ملامح التشكيل وآليات السرد بين ألدوس هكسلى وإبراهيم نصر اللّه (دراسة مقارنة)

الدكتورة

غادة طوسون زكي

أستاذ الأدب المقارن المساعد ـ قسم اللغة العربية
كلية الآداب ـ جامعة المنيا ـ جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء العاشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

الديستوبيا : ملامح التشكيل وآليات السرد
بين ألدوس هكسلى وإبراهيم نصر الله (دراسة مقارنة)

غادة طوسون زكي

الأدب المقارن ـ قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة المنيا ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : ghada.tusun@mu.edu.eg

الملخص

تشكل الديستوبيا ظاهرة أدبية جديدة على الحقول الأدبية العربية وإن كان لها حضور كبير في الآونة الأخيرة في السرد وخاصة بعد ثورات الربيع العربي، رغم تواجدها السابق في الآداب الغربية من منتصف القرن الثامن عشر حتى الآن، وتجلى السرد الديستوبي بوضوح من خلال تميزه بخصائص خطابية ودلالية مغايرة للأنساق الروائية التقليدية، والدراسة اختارت الكاتبين "ألدوس هكسلي" و"إبراهيم نصر الله" بروايتيهما "عالم جديد شجاع" و"حرب الكلب الثانية" بوصفهما نموذجين لتأصيل حضور السرد الديستوبي في البيئتين العربية والغربية، من خلال الاعتماد على منهج المدرسة الأمريكية في المقارنة، وتم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة مباحث، يسبقهم مقدمة ويعقبهم خاتمة، وثبت مصادر ومراجع، وجاءت عناوين المباحث كالآتي:

– المبحث الأول : مفاهيم نظرية، والمبحث الثاني: ملامح الديستوبيا في روايتي "عالم جديد شجاع" و"حرب الكلب الثانية"، والمبحث الأخير: آليات السرد الديستوبي في روايتي "عالم جديد شجاع" و"حرب الكلب الثانية".

وخلصت الدراسة إلى انفتاح آفاق الجنس الروائي عامة على

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فضاءات تخيلية وواقعية جديدة من خلال النص الديستوبي الذي قدم رؤية مغايرة للعالم، كما ارتبط الأدب الديستوبي بالخيال العلمي، واستطاعت الدراسة من خلال المنهج المقارن أن تثبت التقاء الروايتين موضع النمذجة في المضامين العامة واختلافهما في صياغة الأحداث، وهو ما انعكس على آليات السرد الديستوبي التي التقت في مجملها من خلال تقديم رؤية موجزة للنص الموازي، وفضاءات الزمان والمكان، وتشكلات الشخصية وعلاقتها بالراوي .

الكلمات المفتاحية : الديستوبيا ، ملامح التشكيل ، آليات السرد ، ألدوس هكسلى ، إبراهيم نصر الله ، دراسة مقارنة .

Dystopia: features of formation and mechanisms of narrative Between Aldous Huxley and Ibrahim Nasrallah (a comparative study)

Ghada Tousson Zaki
Comparative Literature - Department of Arabic Language - Faculty of Arts - Minia University - Arab Republic of Egypt .
Email: ghada.tusun@mu.edu.eg

Abstract

Dystopia is a new literary phenomenon in the Arab literary fields, although it has been prominent in recent times in narrative, more particularly after the Arab Spring revolutions, and despite its preceding presence in Western literature from the middle of the eighteenth century until now. Dystopian fiction is characterized by its discoursive and semiotic characteristics that distinguish it from traditional narrative patterns. Using the comparative approach of the American School, the study chooses both writers "Aldous Huxley" and "Ibrahim Nasrallah" with their novels "Brave New World" and "The Second War of the Dog", respectively, as two models for authenticating the presence of dystopian narrative in the Arab and Western literary domains. The study is divided into three sections, preceded by an introduction and succeeded by a conclusion, references and works cited. The sections titles are as follows :

−First Section: theoretical concepts; second section: features of dystopia in the two novels "Brave New World" and "The Second War of the Dog;" and last section: mechanisms of dystopian narrative in the two novels "Brave New World" and "The Second War of the Dog".

The study concludes that the horizons of gender narrative becomes, in general, open to new imaginative and realistic perspectives, which is reflected through the dystopian text that depicts a contrastive vision of the world.

Dystopian literature is also linked to science fiction. Using the comparative approach, the study is able to prove the convergence of the two model novels in their general contents and their divergence in the formulation of events, which in turn was reflected on the mechanisms of dystopian narrative that generally converge through providing a brief perspective of the parallel text, geographical and temporal spaces, and characterization and its relationship to the narrator.

Keywords: dystopia, features of formation, narration mechanisms, Aldous Huxley, Ibrahim Nasrallah, a comparative study.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تشكل "الديستوبيا" ظاهرة أدبية جديدة على الحقول الأدبية العربية وإن كان لها حضور كبير في الآونة الأخيرة في السرد وخاصة بعد ثورات الربيع العربي، رغم تواجدها السابق بفترة ليست بالقليلة في الآداب الغربية من منتصف القرن الثامن عشر وحتى الآن، وتجلى السرد الديستوبي بوضوح من خلال تميزه بخصائص خطابية ودلالية مغايرة للأنساق الروائية التقليدية، فقدم تيمات جديدة على العقول لها قدرة على إحداث المفاجئة والمفارقة والانقلاب، هذه التيمات تطلبت لغة شديدة الخصوصية تعبر عن الروح القاتمة التي تسود السرد الديستوبي بالإضافة إلى ضرورة إلمامها بمستجدات العصر العلمية وعناصر التخييل الكثيفة في هذا النوع من السرد.

أن الواقع الحكائي للمدن الديستوبية له رمزية تمتزج بعناصر مختلفة من الخيال غير المحتمل تحققه والمنذر بنهاية مخيفة للإنسان، أي أن النص الديستوبي هو نص لا محدود يطلق فيه للخيال الفنتازي العنان، فتأتي عناصر الفضاء فيه لا معقولة بل وغرائبية بشكل كبير، تجبر شخصيات النص على الخروج من أنسنتها المحدودة.

ويعد النص الديستوبي تشكيلاً جديدًا لرؤية العالم، حيث يقدم للواقع المعيش افتراضات فكرية غير معقولة الغرض منها استحداث آليات جديدة في الكتابات السردية من ناحية، وفرض ترميزات نقدية لحياة الشعوب السياسية والاقتصادية والاجتماعية من ناحية أخرى، إن أدب الديستوبيا أدبًا حداثيًا له معاييره الخاصة، فالحداثة كما يقول خالد سعيد : "إن الحداثة إعادة نظر في المرجعيات والقيم، والمعايير وهي رؤيا جديدة تعبر عن المقلق

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والعجائبي والمثير من جهة، وهي تجديد للغة، وتحرير للمخيلة، وتجاوز للحدود الوهمية التي تفصل الواقع عن اللاواقع من جهة أخرى"(١).

والنص الديستوبي في حداثته يكسر المألوف الحكائي المعهود والترتيب السردي التقليدي، بغية إطلاق الخيال نحو مجهول مدمر لحياة الإنسان.

والدراسة اختارت الكاتبين ألدوس هكسلي وإبراهيم نصر الله بروايتهما "عالم جديد شجاع" و"حرب الكلب الثانية" بوصفهما نموذجين لتأصيل حضور السرد الديستوبي في البيئتين الغربية والعربية، وهي نقطة اللقاء التي انطلقت منها الدراسة مستخدمة آليات الدرس المقارن في الرؤية والتحليل للعملين، والروايتان محل النمذجة أفرزتهما ظروف كتابية وثقافية خاصة للكاتبين "ألدوس هكسلي" و"إبراهيم نصر الله". "فألدوس هكسلي" كتب روايته "عالم جديد شجاع" مدفوعًا ببغضه لروايات المدينة الفاضلة التي يكتبها ويلز – لاسيما رواية "رجال كالآلهة". (١٩٢٣) – إلى جانب التكهنات السائدة في تلك الفترة حول الهندسة الحيوية، فعندما زار هكسلي الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٦، تيقن أن مستقبل الولايات المتحدة الأمريكية هو مستقبل العالم"(٢)، ولم يكن البغض الثقافي لرواية ويلز هو الدافع الوحيد لهكسلي لكتابة روايته "عالم جديد شجاع" بل هناك دافع آخر وهو أقامته في الولايات المتحدة إقامة دائمة جعلته يستشعر خطورة الوجود الأمريكي على البشرية من خلال تمركز السلطة السياسية بها ومحو خصوصية الفرد وحرية الشعوب، وقد ضمن هكسلي رؤيته هذه لكتاب أصدره في الولايات المتحدة استدعى فيه أصداء روايته الشهرية، وجاء الكتاب تحت عنوان "عالم جديد رائع من منظور جديد"، يقول سيد "وقد أعدَّ

كتابه كي ينذر العامة من ممارسات تلك "القوة الضخمة المتجردة"، ويصر على أن تلك الاتجاهات ستصل لذروتها في القرن اللاحق، وهو عصر "حُكَّام العالم" الذي سيشهد التحقق النهائي لما تصوره رواية "عالم جديد رائع"(٣)، بهذه النظرة الاستشرافية للمستقبل يقدم هيكسلي للمتلقي دوافع كتابته لأحد الروايات المؤسسة للأدب الديستوبي، حين رأى مبكرًا أمركة العالم، وسيطرة الهندسة الحيوية والاستنساخ على مصير الشعوب، ومن هنا لا بد وأن يعترف النقد الغربي بأسبقية "هكسلي" وتأثيره في كتابات الرواية الديستوبية العربية من خلال إثارته لقضايا عامة تمس مجتمع بني الإنسان في كل مكان.

أما الكاتب الفلسطيني/الأردني "إبراهيم نصر الله" (١٩٥٤) الحائز على الجائزة العالمية للرواية العربية عام ٢٠١٨م عن روايته "حرب الكلب الثانية"(٤)، فإن الدراسة ترى إنه قدم في روايته هذه تحولات واقعه العربي؛ ليكون محفزًا لظهور ديستوبيا المدن العربية والتي تحمل تشوهات المجتمع وقسوة العالم وتدمير الشعوب، "واعتبر "نصر الله" الارتباك الذي أصابه من الداخل تجاه الواقع المأزوم وعلاقة البشر ببعضها، ربما كان من المحركات لكتابة هذه الرواية – حرب الكلب الثانية – فكل حدث يتراكم في داخلنا يتحول في لحظة ما إلى عمل إبداعي، ورواية "حرب الكلب الثانية" هي رواية التراكم الكبير الذي تشكل عبر كل الأعمال التي كتبها"(٥)، و"نصر الله" بهذه الرواية يستشرف مستقبلاً تحذيريًا من سيطرة الآخر الغربي على الأنا العربية من خلال بعض الأنظمة العربية، هذا الاستشراف يعد دافعًا لكتابة الرواية؛ ولا بد ألا ننسى نشأة نصر الله في مخيم الوجدان للاجئين الفلسطينيين في عمان والأردن وهو ما أسهم في سودواية النظرة نحو

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مستقبل علاقة الأنا العربية بالآخر الغربي، بالإضافة إلى انتماء الرواية إلى أدب المقاومة والذي يبدو دافعًا ومحركًا آخرًا لكتابة رواية "نصر الله" الديستوبية النزعة والقالب.

إذن يمكن إيجاز أسباب اختيار الدراسة لروايتي "هكسلي" و"نصر الله" – "عالم جديد شجاع" و"حرب الكلب الثانية" – كي تكونا محل تطبيق لمفهوم الأدب الديستوبي بين الشرق والغرب، في الأسباب التالية:

– اتفاق الروايتين على تقديم رؤية قاتمة للواقع من خلال نماذج بشرية تخيلية تسعى لهدم المدن الفاضلة بمساعدة وسائل التكنولوجيا الحديثة.

– كان لفنتازيا الخيال فيهما تجاوزًا لكل عوالم الخوف والرعب التي سبق معالجتها سرديًا، فأتت الروايتان بعوالم وشخصيات وأزمنة وأمكنة فوق مستوى المألوف من الرعب والإثارة، أي أنهما حققا نقلةً سردية جديدة على مستوى المضمون وآليات الحكي.

– مثّل عنوانا الروايتين علامات سيميائية متقاربة، فكلاهما يتحدث عن علاقته بالعالم من خلال منظور خاص، فيتحدث "هكسلي" يتحدث عن شجاعة عالم جديد يتخذ من المدينة الفاسدة ساحة حرب غرضها القضاء على يوتوبيا العالم القديم، ونصر الله يقترب من الفكرة نفسها حينما يستدعي حرب الباسوس لتكون أطارًا ترميزيًا لحربه في المدينة الفاسدة التي استبدل فيها ناقة الباسوس بكلب المدينة تلك الحرب التي تهدف إلى نهاية الإنسان.

سعي الروايتين إلى إقرار أفكار سياسية واجتماعية واقتصادية تقضي على الحريات وتُعلي من شأن الطبقية وتطمس التاريخ، بل وتمحو الخصوصية الفردية وتلغي العواطف وتسيطر على الفن.

كذا تجدر الإشارة إلى أسبقية "هكسلي" في وضع آليات التشكيل السردي لروايات الديستوبيا مما أسفر عن تأثر كثير من أدباء الشرق بهذا اللون الجديد من الكتابات ومنهم – بلا شك – "إبراهيم نصر الله"؛ لهذا كان اختيار الدراسة للمقارنة بين عملين ممثلين لحضارتين فارقتين ولغتين مختلفتين أحدهما سابق في وضع خطوط واضحة لأدب الديستوبيا والآخر لاحق متأثر بهذه الخطوط، فكان الاختيار لهاتين الروايتين بوصفهما أنموذجًا للكتابة الديستوبية في الروايات الغربية والعربية.

الهدف من الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على نتاج جديد ظهر في البيئات الأدبية، وهو ما يعرف بأدب الديستوبيا الروائي ذلك الذي يقدم رؤية مغايرة للواقع المألوف ويهدم كل اتجاه نحو الفضيلة والمثالية، كما إنه يقدم رؤى استشرافية لمستقبل الإنسان ونهاية الكون، فكان سعي الدراسة إلى الكشف عن ملامح التشكيل وآليات السرد في روايات ما بعد الحداثة والمتمثلة في روايات المدن المضادة أو الديستوبيا، وليس هذا فحسب ولكن الدراسة أرادت أن تقدم هذه الملامح في البيئتين العربية والغربية من خلال مناهج الدرس المقارن والتي تميط اللثام عن أوجه الاتفاق أو الاختلاف في تلقي هذا الصنف من الأدب.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

منهج الدراسة :

اختارت الدراسة الاعتماد على منهج المدرسة الأمريكية في المقارنة فهو يتيح للبحث تحليل الظواهر الأدبية في النص وتتبع أهم التيمات المهيمنة عليه، بالإضافة إلى تقبل منهج المدرسة الأمريكية في المقارنة إلى دراسة الأدب من خلال علاقته بالعلوم الوضعية الأخرى، والبحث لا يغفل دور التحليل النقدي في إحداث المقارنة والخروج بنتائج توضح ملامح التشكيل وآليات السرد عند الكاتبين موضع الدراسة.

أقسام البحث :

- **المبحث الأول** : **مفاهيم نظرية**:

أ- اليوتوبيا (Utopia)

ب- الديستوبيا (Dystopia)

ج- السرد الديستوبي بين الشرق والغرب

د- أدب الخيال العلمي والرواية الديستوبية

- **المبحث الثاني** : **ملامح الديستوبيا في روايتي عالم جديد شجاع وحرب الكلب الثانية**

أ- المراقبة والقضاء على خصوصية الأفراد

ب- الاستنساخ وفقدان الهوية

ج- التقسيم الطبقي وسيطرة الحكام

د- هدم التاريخ ومحو الماضي

هـ- مدن اللادين.

و- الجنس والحرية

ز- موت الموت

- المبحث الأخير : آليات السرد الديستوبي في روايتي "عالم جديد شجاع" و"حرب الكلب الثانية"

- مدخل
- المحور الأول : النص الموازي وسيمياء العنوان
- المحور الثاني : الرؤية السردية
- المحور الثالث : بنية الكرونوتوب في روايات الديستوبيا
- المحور الأخير : تمظهرات الشخصية في الروايات الديستوبيا

الخاتمة

الهوامش

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول : مفاهيم نظرية:-

إن الكشف عن المعاني اللغوية والفروق الاصطلاحية لبعض المفـــاهيم النظرية الحديثة يقدم للباحثين إجابات عن العديد من الأسئلة التي يطرحهـــا العقل البشري، والتي بدورها تمكن الناقد من امتلاك أدواته الفنية؛ لذلك كان لا بد لهذه الدراسة وقبل البدء في التحليل الفني للروايتين موضع التطبيـــق أن تقف أمام بعض المفاهيم والأطر النظرية والتي قد تتشـــابك أهـــدافها أو تتقارب مظآنها، بغية القراءة الواعية لتيمة البحث.

ومن الأطر النظرية التي ستقف أمامها الدراسة بالتأصيل والبحث:

١- اليوتوبيا (Utopia)

٢- الديستوبيا (Dystopia)

٣- السرد الديستوبي بين الشرق والغرب

٤- أدب الخيال العلمي والرواية الديستوبية

أ- اليوتوبيا (Utopia):-

قدم السياسي الإنجليزي سير "توماس مور" مصطلح "اليوتوبيـــا" إلـــى الوجود الثقافي في "عمله اللاتيني" "Utopia" عام ١٥١٦، والـــذي حمّلـــه أوصافًا مثالية لعالم بديل قائم على تحقيق العدل المطلق والمساواة والحرية فكانت المدينة الفاضلة حلمه المنشود، وقد عُرفت "اليوتوبيا" بأنها "ضـــرب من التأليف الأدبي أو الفلسفي يتخيل فيه كاتبه الحياة في مجتمع مثـــالي لا وجود له كمجتمع يزخر بأسباب الراحة والسعادة لكل بني البشر، وإلى هـــذا المعنى في اليونانية يرجع استخدام المصطلح الذي اشتقه سير "توماس مور"

(١٤٧٨م – ١٥٣٥م) في عمله اللاتيني (Utopia) عام (١٥١٦م) ولعل هذا النوع من التأليف يضرب بجذوره في جمهورية أفلاطون والتي تقدم رؤيته في السياسة والحكم ومن ثم يغلب على أعمال الأدب اليوتوبي طابع سياسي حالم بمجتمع مثالي فاضل يسعد أهله بلا استثناء".(٦)، ومن الواضح أن الممارسات اليوتوبية في العالم البديل قد ارتبطت بالنظريات الفلسفية في المقام الأول والضاربة بجذورها في جمهورية أفلاطون مؤسس المدينة الفاضلة، وسياسة أرسطو، وآراء الفارابين وتصورات فلاسفة عصر النهضة(*).

ولكن "مور" هو مَنْ يرجع له الفضل في ربط الرؤية اليوتوبية بالنظرية الأدبية، تقول "ماريا لويزا برنيري" : "كان توماس مور هو أول من صاغ كلمة يوتوبيا أو "أوتوبيا" في نطقها اليوناني وقد اشتقها من الكلمتين اليونانيتين Ou بمعنى "لا" و Topos بمعنى "مكان" وتعني في مجموعها "ليس في مكان" ولكنه أسقط حرف (O) وكتب الكلمة اللاتينية لتصبح "Utopia" ووضعها عنوانًا لكتاب له هو أشهر يوتوبيا في العصر الحديث"(٧)، ويوتوبيا "مور" ومَنْ سار على نهجه تقدم حالة فكرية مخالفة للواقع استثمرتها الكتابات الأدبية والسياسية والتاريخية والمجتمعية في إنتاج نظريات تنادي بالكمال الكوني وتجديد آمال الشعوب، وما يُهم دراستنا هو ما يُعرف بالأدب اليوتوبي والذي يعرفه داركو سوفين بقوله : "هو البناء اللفظي لمجتمع شبه بشري"(٨)، هذا التعريف الموجز يتضح فيه ارتباط اليوتوبيا الأدبية برؤية العالم المثالي والفردوس المفقود، وهو ما ظهر بوضوح في أدبنا القديم "ففي ألف ليلة وليلة يتجلى عالم مثالي تحت سطح الماء في قصته (عبد الله البري وعبد الله البحري)، وفي السندباد كذلك، كما

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أنّ المسعودي في (مروج الذهب)، والإدريسي في (نزهة المشتاق) يتحدثون عن جزر النحاس في بحر الظلمات وعن الأرض التي يثمر شجرها نساء"(٩)، وما دار في فكر الأدباء قديمًا، ظهر بشكل أعمق في الآداب الحديثة شرقًا وغربًا بدءً من يوتوبيات فرانسوا بليه (١٥٥٣) (ديرتيلم) التي يعيش كل سكانها وفق قاعدة واحدة وهي (افعل ما تشاء) وآيتين كابيه (١٨٥٦) (رحلة إلى إلى غيكاريا) وغيرهم، كذلك شهد أدبنا العربي الحديث بعض كُتاب الأدب اليوتوبيّ أمثال نهاد شريف في (سكان العالم الثاني) ١٩٧٧، وصبري موسى (السيد من حقل السبانخ) ١٩٨٤، ويوسف إدريس (جمهورية فرحات) وغيرهم(*).

وبعد أن سيطرت النزعة اليوتوبية على عقول العديد من الكتاب في العصر الحديث وخاصة في الفترة ما بين عام ١٥١٦ إلى منتصف القرن العشرين، ظهرت نزعات التشاؤم والعدمية بعد أن اجتاحت العالم الحروب والأوبئة، مما أدى إلى ظهور حركات أدبية وفنية عبثية، كما أن لسيطرة التكنولوجيا الحديثة أثرًا واضحًا في الشعور بتراجع قيمة الإنسان أمام هيمنة الآلة، ومن ثم تراجعت الرؤية اليوتوبية أمام رؤية مغايرة عُرفت في البيئات الفكرية المختلفة بمصطلح "الديستوبيا".

٢- **الديستوبيا (اليوتوبيا المضادة** Anti Utopia):-

بعد أن أُسدل الستار على الفكر اليوتوبي وانحسرت أهدافه، لاح للبشرية المتقدمة ارهاصات اليوتوبيات المضادة كرد فعل لما طرأ على العوالم الحديثة من حروب وأوبئة وإحلال للعقول الإلكترونية محل العقول الإنسانية فكان الترنح بين سودوية النظرية وهيمنة المستجدات التكنولوجية

الحديثة، مما غيّر بدوره من النظرة إلى مستقبل البشرية، ووضع الشعوب على كوكب الأرض.

واستُخدم مصطلح "ديستوبيا" أو "اليوتوبيا المضادة" ليعبر عن مفهوم التضاد للمدن الفاضلة، وحقق هذا المصطلح انتشارًا واسعًا في البيئات الغربية والعربية مُنذُ بزوغه في منتصف القرن الثامن عشر وحتى وقتنا هذا، يقول إيمان تاور: "الديستوبيا تعني الكلمة في اصلها اليوناني (المكان الخبيث) على عكس اليوتوبيا، وفي الأدب استعمل النقاد هذا المصطلح وقصدوا به التأليف الروائي الذي يصف الحياة في مجتمع أفسدته المظاهر المادية وعصفت به النزاعات السياسية والاجتماعية السلبية (...) واستخدمت كلمة ديستوبيا لأول مرة في منتصف القرن الثامن عشر، واستخدمها الفيلسوف الإنجليزي جون ستيوارت (١٨٠٦ – ١٨٧٣) في خطاب أمام البرلمان في عام ١٨٦٨"(١٠) ورغم انتشار مفهوم "اليوتوبيا" الإيجابي في البيئات الأدبية والسياسية والاجتماعية، فإن هناك من يحملها مسئولية ظهور الفكر الديستوبي يقول إيمان تاور "ففي كل مكان حملت اليوتوبيا الأمل في تحقيق حياة أفضل (...) وشجعت اليوتوبية الناس على بذل جهود جبارة لتحقيق تحسين حقيقي، وقد أساء آخرون استخدامها للوصول للسلطة، أو المكانة الاجتماعية، أو الحصول على المال، وغيرها. وقد حولت بعض اليوتوبيات إلى ديستوبيات، بينما استُخدمت يوتوبيات أخرى لهزيمة هذه اليوتوبيات ذاتها"(١١)، بهذا التصور يمكن القول أن "اليوتوبيا" قد ساعدت "الديستوبيا" على الظهور والانتشار من خلال فكرة التضاد أو المناهضة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والخيال الأدبي الديستوبي خيال ناقد لنظم وقوانين اكتسبت شرعيتها عبر رافد المثالية والفضيلة تقول فاطمة برجكاتي : "الأدب الديستوبي أو أدب المدينة الفاسدة أو أدب الواقع المرير، هو مجتمع خيالي مخيف أو غير مرغوب فيه، تسوده الفوضى ومن أبرز ملامحه الخراب والقتل والقمع والفقر والمرض، وهو يأتي في مقابل اليوتوبيا (Utopia)، أي أدب المدينة الفاضلة؛ واليوتوبيا بمعنى المكان الفاضل الذي ينشد السعادة لسكانه"(١٢)، ويظهر للدراسة أن هذا النوع من الأدب لا بد وأن له خصائص مغايرة تتفق وميله إلى فكرة نهاية الإنسان في عالم مخيف فيصبح للخطاب الديستوبي إمكانيات قادرة على المزج بين الواقع المادي والخيال العلمي ليحقق قفزات قادرة على إحداث الخراب والدمار والفساد في كل مكان من العالم، يقول خالد بلقاسم: "أيتعلق الأمر في خطاب الديستوبيا بأدب ذي خصائص مميزة، أم بنوع فرعي للخيال العلمي، أم بظواهر ومحددات تطبع عقدًا ما وتُولد خوفًا من الآتي وتوقعًا كارثيًا؟ غالبًا ما يستحضر الخطاب الواصف للديستوبيا هذه العناصر الثلاثة في تأمل الموضوع، مغلبًا إحداها، وغالبًا ما يستحضر أيضًا التقابل بين الديستوبيا واليوتوبيا، باعتبار هذا التقابل إضاءة لحمولة كل منهما"(١٣).

إن اختلاف خصائص الخطاب الديستوبي استوجبت لوضوحها أجناسًا أدبية وفنية بعينها مثل الرواية والسينما، مع الأخذ في الاعتبار أن الحكم على أدبية "الديستوبيا" لن يتأتى من عناصرها الشكلية فقط، ولكن لا بد وأن تتفق هذه العناصر مع تقنيات العرض سواء السردي أو الفني، وإن اقترنت "الديستوبيا" أكثر ما يكون بالرواية دون غيرها من الأجناس الكتابية، وذلك لقدرة الرواية على استيعاب كل مظآنها الشكلية والتقنية يقول بلقاسم :

"الحكم على أدبية الديستوبيا لا يتم إذًا، من داخلها وإنما من ورودها داخل الرواية، أي من تقنيات السرد، وبناء الشكل الكتابي؛ لذلك يمكن عدَّ ما يعرف بأدب الديستوبيا قريبًا من روايات الرعب، مع اختلاف بسيط هو أن رعب الديستوبيا مرتبطة بالآتي من الزمن"(١٤)، ومن هذا المنظور تصبح وظيفة "الديستوبيا" في المقام الأول دفع الحدث الروائي للظهور أي القيام ببناء المتخيل، فتصور الخوف والرهبة مما يحمله الزمن الآتي للبشرية، ويمكن تلخيص أبرز ملامح الأدب الديستوبي عامة وعلاقته بالرواية خاصة فيما قدمته نادية صالح في مقالها بعنوان كيف نشأ الأدب الديستوبي حيث قالت: "أبرز ملامح الأدب الديستوبي هو التجرد من الإنسانية، والقمع والفقر، والظلم، والكوارث البيئية (....) وعادة ما يرتبط الأدب الديستوبي بالروايات إلا أنه ظهر بشكل جلي في الألعاب الإلكترونية والأفلام"(١٥).

نستخلص من هذا العرض لملامح الأدبي الديستوبي تصورًا مفاده اختصاص هذا اللون من الأدب برصد ما يطرأ على مستقبل الشعوب من فوضى واستبداد من خلال النظم الشمولية التي يحكمها الشر والفساد، بالإضافة إلى دور التقدم العلمي والتكنولوجي الكبير في المساعدة على وصول إلى نقطة النهاية المأساوية للإنسان، ويمكن أن ينتمي هذا الأدب إلى أدب ما بعد الحداثة، والذي مثلت الرواية أحد أهم أركانه الأساسية.

٣- السرد الديستوبي بين الشرق والغرب :

ساهمت روايات الديستوبيا الغربية في تحديد مسار الرواية الديستوبية العربية؛ وذلك لأسبقية حضورها في الفكر النقدي الغربي، ونضوج فكرتها المرتبطة بالبحث عن مستقبل العالم بعد انهيار ثوابته اليوتوبية ووصول

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الإنسان إلى نهاية مؤسفة بمساعدة أنماط التكنولوجيا الحديثة التي تتبنى الدول الغربية مهمة الترويج لمستحدثاتها، فظهرت روايات الديستوبيا الأولى بوصفها مناظرًا لآليات كتابتها وملامح تشكلاتها.

ومن الروايات الأولى التي قدمت فكر اليوتوبيا المضادة كان رواية "نحن" للكاتب الروسي ينجيني زامباتين (١٨٨٤ – ١٩٣٧م) المكتوبة بالروسية عام ١٩٢٠، ولكنها نشرت بالإنجليزية لأول مرة عام ١٩٢٤م، ورواية الكاتب الإنجليزي "ألدوس هكسيلي" (Aldous Huxley) "عالم جديد شجاع" عام ١٩٣٢م، ورواية الكاتب الإنجليزي "جورج أوريل (ألف وتسعمائة وأربعة وسبعون) عام ١٩٤٩(*)، ويلاحظ على تواريخ كتابة هذه الروايات الثلاثة توجيه الخطاب الديستوبي مباشرة للأنظمة السياسية المستبدة في مطلع القرن العشرين وحتى منتصفه، كما إنه من الملاحظ اتفاق هذه الروايات الأولى في بنائها السردي وقضاياها المتضمنة والتي أثرت بشكل واضح على ما تلاها من إنتاج روائي، وقد اهتمت هذه الروايات بتقديس الطبقية، والمراقبة المثيرة للرعب من خلال ملاحقة المراقبين لأفكار أهل المدينة وتقصي ما بداخلهم من مشاعر عن طريق أجهزة الرصد الحديثة، بما يلغي فكرة الحياة الخاصة أو الفردية، بالإضافة إلى تجنيد الأطفال في أنظمة الجاسوسية التي تحولهم إلى اشخاص تابعين دون عقل للأنظمة الحاكمة، كما سعت هذه الروايات إلى طمس المعالم التاريخية للمدن حتى يتلاشى الماضي اليوتوبي أمام المستقبل الأسود، كذلك فإن هذه السرديات لا تسمح للعاطفة بالنمو بل وتحول مَنْ يقدمون عليها إلى اشباه ممسوخة، ولا تخل هذه الروايات من تيمات رئيسية كالفقر والمرض.

أما التجربة العربية للسرد الديستوبي فإن خطواتها جاءت متأخرة إلى حد بعيد فلا يُمكن القول بإن إرهاصاتها الأولى مكتملة الأركان أو ناضجة الملامح في الروايات الكلاسيكية مثل جمهورية فرحات أو غيرها، ولكن علامات النضوج الفني والسردي وإن بدت بطيئة بعض الشيء ولكنها سرعان ما ظهرت في البيئات العربية وأسفرت عن محاولات ناضجة إلى حد كبير ومنها رواية "أحمد خالد توفيق" "اليوتوبيا" عام ٢٠٠٨م، ورواية "محمد ربيع" "عطارد" التي تصور المستقبل الأسود عام ٢٠٢٥م، ورواية الأردني إبراهيم نصر الله "حرب الكلب الثانية"، والأردني أحمد الزعتري (الانحناء على جثة عمان) والجزائري "واسيني الأعرج" بروايته "٢٠٨٤ .. حكاية العرب الأخيرة". والتي يرصد فيها الأعرج رؤية مستقبلية كارثية للعالم بعد خمسين عامًا، هذه الروايات السابقة وما عاصرها أو تلاها من تجارب السرد الديستوبي العربي، كانت نتاجًا للظروف السياسية والاقتصادية التي تعيشها المجتمعات العربية منذ نهايات حقبة التسعينيات وبداية الألفية الجديدة، حتى أن هذه الفترة يجوز لها أن تصبح فترة حضانة الظاهرة الديستوبية في السرد، والتي لم تلبث أن نمت وأفرزت ملامحًا سردية قريبة الشبه من نظيرتها الغربية، فقدمت روايات الديستوبيا العربية النظرة القاتمة لمستقبل العالم القريب، بل وأنذرت بدنو النهاية، فكانت روايات استشرافية في المقام الأول، بالإضافة إلى اهتمامها بالحديث عن قضايا الجنس الممنوع والخرافات وأفردت أحاديثًا عن جرائم العنف ضد النساء بشكل خاص، وكان أبطال هذه الروايات من الأوغاد والمهمشين والكسالى أحيانًا، كذا فإن القضايا الطبقية أخذت أشكالاً متعددة منها ذوبان الطبقات الفقيرة في غيرها من الطبقات أو إندثارها نهائيًا، كذلك كان لهذا الخلل الطبقي أثرًا في قيام

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الثورات المدمرة، أيضًا قدمت الرواية العربية الديستوبية ادهاشيات عقلية عبر استشراف المستقبل التكنولوجي وآثاره الكارثية على حياة الشعوب.

٤- أدب الخيال العلمي والرواية الديستوبية:

خدم أدب الخيال العلمي توجهات السرد الحديث حين قرر أن يزاوج بين الواقع بمفرداته المنطقية وبين عوالم التخييل الجديدة التي تستهدف مستجدات العلوم الحديثة؛ لتكون نمطًا مغايرًا لإرادة التخييل في الروايات التقليدية، ويُعرف أدب الخيال العلمي بكونه "نوع أدبي يواكب الملامح الرئيسية للمجتمع المعاصر وهو يحاول استباق المستقبل، مقتضيًا إنفصال إنسان العصر الذي نحياه عن إنسان ما قبل الثورة العلمية وعالمه، وهو يقدّم مفهومًا جديدًا للإنسان والحياة وحضورًا قويًا للأزمات التي يبدو أنها ستهدد البشرية في المستقبل"(١٩) والأدب الديستوبي يجوز أن يكون شريكًا أصيلاً لأدب الخيال العلمي، فالهدف واحد وهو استشراف مستقبل البشرية وما يهدده من مخاطر، والوسيلة أيضًا واحدة، وهي استخدام مبتكرات العلوم سلبًا وإيجابًا أما سلبًا فأداته فيها تدمير العالم بإلغاء فردية الإنسان وإنعدام خصوصيته، وإيجابًا حينما تستخدم قدراته للكشف عن مجهول قد يواجه عالم الآلة الحديث فيدمر الكون.

المبحث الثاني

ملامح الديستوبيا في روايتي

"عالم جديد شجاع" و"حرب الكلب الثانية"

سبقت الرواية الديستوبية الغربية نظيرتها العربية في الظهور والنضج فكانت روايات "هكسلي" و"أوريل" و"زامباتين" علامات فارقة في أدب المدن الفاسدة مما نتج عنه اختلافًا جذريًا في المضامين ومستويات السرد، والذي بدوره أثر بشكل لافت في الروايات الغربية التي تلتهم، والروايات العربية التي سارت على نهجهم؛ لذلك رأت الدراسة أن تفرد مبحثًا عن ملامح المضامين في الرواية الديستوبية بين البيئتين الغربية والعربية وذلك بالتطبيق على رواية الأمريكي "ألدوس هكسلي" عالم جديد شجاع" والعربي "إبراهيم نصر الله" وروايته "حرب الكلب الثانية"، والروايتان بينهما من نقاط الاتفاق في المضمون ملامح عدة، وإن اختلفت فقط في بعض الظواهر المحلية التي تميز كل بيئة على حدا، ومن هذه الملامح التي اتفقت فيها الروايتان.

(١) المراقبة والقضاء على خصوصية الأفراد:

شُغلت الروايتان بنفي ذاتية الفرد واختراق مواطن خصوصيته، وذلك من خلال انتشار تقنيات المراقبة في كل مكان فمنذ الصفحات الأولى للروايتين يستشعر المتلقي معهم أنه مراقب كأبطال هذه الروايات، ففي "عالم غريب شجاع" "لهكسلي" تظهر أمام المتلقي وظيفة مراقب العالم وهو شخصية مهمتها مراقبة خط سير العالم الافتراضي في مدن العالم الجديد، تلك المدن المحكومة بقوانين "مستر فورد" حاكم مدن الديستوبيا ورمز التقدم

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

العلمي والهيمنة الأمريكية، "السيد المراقب" هو مَنْ يقوم بمراقبة الجميع في كل مكان ونفي الدين والعاطفة والتاريخ، وجعل "هكسلي" نظام المراقبة موزعًا على عشرة مراقبين لأحكام السيطرة على عالم صنعه الآله "فورد" يقول : "المبجل باسم فورد مصطفى موند! كادت أعين الطلاب المحبين تخرج من محاجرها، مصطفى موند المراقب المقيم بأوروبا الغربية؟!! وواحد من عشرة مراقبين في العالم كله، واحد من عشرة!"(١٦).

ولكي يُعلي "هكسلي" من قيمة منجزات عالم فورد في المراقبة فإنه يبالغ في رد فعل المُراقبِين فهم في خوف دائم، وتكاد أعينهم تخرج من محاجرها عندما يجلس معهم السيد المراقب، هذا النظام الصارم في المراقبة أوجده الكاتب في روايته رغم إنه أوكل "لفورد" مهمة التحكم في جينات المواليد وتوجيه الصفات الوراثية فيهم أي إنه قادر على السيطرة الكاملة عليهم، وليس هذا فحسب بل إنه يؤكد على تجريد الأفراد من حرياتهم والقضاء نهائيًا على خصوصياتهم.

أما رواية "حرب الكلب الثانية" "لإبراهيم نصر الله" فإنها فعلت الشيء نفسه حينما ألغت حرية الأفراد وخصوصياتهم، فقد انتهكت القلعة أو مركز التحكم في مدن الديستوبيا كل خصوصية في المجتمع، كذلك فإن قدرات القلعة قد اتسعت واستطاعت أن تفك الشفرة الوراثية لعين طائر البوم وقدرتها على الإبصار ليلاً لتضيفها إلى قدرات رجال القلعة كي يتمكنوا من المراقبة واختراق الحواجز، وزاد "نصر الله" في تصوراته لنظم المراقبة الحديثة في عالمه الفاسد حين أعرب بطله "راشد" رجل القلعة الأول عن تخوفه من مراقبته هو نفسه بطرق عدة قد يكون هناك من سبقه إليه كي يحتل مركزه يقول : "طرح فكرة القيام بعمليات مسح ضوئي لبيئة ومكتبه

بالأقمار الصناعية الصغيرة التي باتت تجوب الفضاء كذبابات شفافة لا تراها الأعين أو بواحد يعمل في المستشفى أُعدّ جسده كله كجهاز تنصت، أو تكون السكرتيرة نفسها قد حُقنت، أو زُرعت فيها، دون أن تدري، شرائح حوّلتها إلى جهاز بث دائم، أو أن يكون أحد أجهزة المنزل كالثلاجة أو الفرن أو الخزائن، والتي باتت إليكترونية كلها، يتجسس عليه، رغم أنه كان على يقين من أنه اجتاز فترة الاختبار الغامضة التي حدّدتها له القلعة"(٧). هذا الكم الهائل من نظم المراقبة في كل مكان من مدينة "راشد" لم يقتصر على أفراد الشعب فقط بل ذهب إلى حكومة القلعة أيضًا فأصبح المسئولون يتبادلون المراقبة فيما بينهم، ففقد جميع أفراد هذه المدن لذة الحياة الخاصة وأصبح العالم كما شبهه "نصر الله" أشبه بقربة وليس قرية، كلما تم إغلاق أحد ثقوبها انفتح اثنان سواه(*).

(٢) **الاستنساخ وفقدان الهوية**:

اتفق الكاتبان "هكسلي" و"نصر الله" على جعل قضية الاستنساخ محور الحدث الرئيسي في الروايتين "عالم جديد شجاع" و"حرب الكلب الثانية" وهي قضية دالة على أثر الخيال العلمي في بناء مدن الديستوبيا، بالإضافة إلى أنها رمز لانتشار الفاسد والقضاء على قيمة الإنسان وتفرده، فأضحى الإستنساخ البشري سببًا في فقدان الهوية البشرية، وضياع كينونة إنسان هذا العصر، وتحقق مبدأ "فورد" الكل ينتمي للكل" في مدن "رواية عالم جديد شجاع" و"حرب الكلب الثانية" على السواء، وقدمت قضية الأشباه في الروايتين من خلال ما يأتي:

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

– بدى للقارئ في رواية "عالم جديد شجاع" منذ الصفحات الأولى قضية تأخذ بلبه نحو اللامعقول، فكانت مسألة الاستنساخ والتلاعب الجيني أهم ثوابتها، فقد أُلغيت تمامًا الدورة الطبيعية لحياة الإنسان، فلم يعد للحمل والولادة وجود في مدن العالم الديستوبي الجديد، فحل التوالد المستنسخ داخل الأنابيب محل التلقيح الطبيعي، مما ينتج عنه أعدادًا متماثلة من البشر، ووضح ذلك في رواية "هكسلي" في مواضع كثيرة وكثيفة منذ الصفحات الأولى وحتى النهاية ومن المقاطع الشارحة لكيفية سير عملية الاستنساخ ما جاء في المقطع الآتي من الرواية: "العشرات كرَّرها المدير فاتحًا ذراعيه، كأنما ينثر عليهم ذهبًا (العشرات..)... إن عملية بوكانوفيسكي هي أعظم وسائل تحقيق الاستقرار الاجتماعي؛ نعم إنها وسيلة لتحقيق الاستقرار الاجتماعي؛ بإنتاج رجال ونساء معياريين في مجموعات موحدة، وحيث يُمكن لبويضة واحدة مرَّت (بعملية بوكانوفسكي) أن تزود مصنعًا صغيرًا بالعمال "ستة وتسعون من التوائم المتماثلة.."(١٨)، ويسهب "هكسلي" في شرح عمليات الاستنساخ عبر صفحات الرواية كلها حتى تكون هذه التيمة محورًا تدور حوله أهم أحداث الرواية.

أما "نصر الله" فإنه عالج التيمة نفسها وهي قدرة العلم على إنتاج الاشباه أو استنساخ نظائر، وإن اختلف "نصر الله" في صياغة الفكرة، فلم تأت الأشباه مستنسخة من عدم، ولكن أشباه "نصر الله" جاءت لتماثل خلقًا موجود بصفاته التي أرادها الإله.

كما أن غرض الاستنساخ لدى "نصر الله" اختلفت، فكان استنساخًا من أجل هروب أو سرقة أو الدخول في علاقات عاطفية شاذة، كذا فإن عملية الاستنساخ كانت تجري عبر عمليات جراحية مبدلة لخلق الله بأشباه يريدها

أصحاب وجوه مغايرة، وفي المقطع الحواري الآتي تظهر الآليات العملية لاستنساخ أشباه الأفراد من خلال أنابيب أشبه بمكينة الطباعة يقول "في جلسة مع الطبيب حرص عليها راشد، لكي يشكره على النتائج المبهرة، ويتبادل معه الأفكار حول تقنية الأنبوب تلك، وإمكانية نقلها إلى حيث يعمل، لم يكتم راشد دهشته وهو يقول: "أظن أن هذا أعظم إنجاز طبي حتى الآن: يدخل الإنسان من فتحه، ويخرج من الآخرى إنسانا آخر، بل على صورة أي إنسان آخر يريد أن يكون مثله!"(١٩) يظهر جليًا الفرق بين استنساخ "هكسلي" واستنساخ "نصر الله"، فالأول يستنسخ أشباهًا متماثلة دون إرادتهم أي دون هوية محددة، والثاني يُحدث عملية الاستنساخ بغية تحول الهويات واختلاطها، وفي الحالين يصبح العالم الكل فيه ينتمي للكل.

– تجدر الإشارة إلى أن أشباه "عالم جديد شجاع" أشباه لا ينتمون لأب وأم بل هم مصنفون إلى سلالات مختلفة القدرات، مسيرون نحو أهداف لا يحيدون عنها، أما أشباه "حرب الكلب الثانية" فإنهم ينتمون إلى آباء وأمهات الأصل المُستنسخ منه، فالصورة الأصلية مُنتَجة عبر عملية التزاوج الطبيعية، كما أنهم مخيرون في إجراء عملية الاستنساخ نفسها.

– وفي رواية "حرب الكلب الثانية" تبرز ظاهرة الصراع بين الإنسان المستنسخ وبين إنسان الأنبوب؛ وذلك لإن الأمر أصبح أشبه بالسرقات، فلم يعد على إنسان الأنبوب أن يستأذن الإنسان المستنسخ منه، بل يكتفي فقط بألتقاط صورة له لينسخها على وجهه، فينشأ صراعًا قاتلاً يترتب عليه سرقة كل ما يخص النسخة الأصلية من أموال وبيوت ومناصب وزوجات، حتى أن التجربة الجنسية تحدث لهم في الآن نفسه، أما "عالم جديد شجاع"

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فقد اختلف في هذا الأمر، فلا صراع بين النظائر أو الأشباه، لإنهم مسلوبوا الإرادة، وفي الحالين يفقد الإنسان هويته سواء بالاستلاب أو الاستسلام.

– والخلاصة : ناقشت الروايتان موضع الدراسة فكرة الأشباه التي تصنع مجتمع القطيع، حين يصنع التطور العلمي معجزة الاستنساخ البشري، فتصبح الاشباه أداة هدم للمجتمعات المستقرة، فتسود الفوضى والعنف، والكاتبان "هكسلي" و"نصر الله" وجها سهام النقد إلى مجتمعاتهما الفاشية والتي تسعى إلى حكم المدن من خلال فكرة الحشود أو القطعان المتشابهة.

ومن المسلم به أن "هكسلي" هو الأسبق في تضمين مثل هذه الأفكار السردية في روايته "عالم جديد شجاع" هذه الفكرة التي تنمو من خلال التحكم في الجينات الوراثية، وعالم الأشباه لدى "هكسلي" عالم فريد فبعد أن يفرغ "مستر فورد" الحاكم الأعلى للمدينة من تفريغ أنابيب الأطفال المتماثلة جسديًا يبدأ في استنساخهم نفسيًا، فهم أشباه متطابقة جسديًا ونفسيًا، كما إنه سيطر على وضعهم الطبقي، فقسم أشباهه إلى "ألفا" و"بيتا" و"الإبسيلون"، وكان "الإبسيلون" و"الألفا" هما أقل طبقات المجتمع، يقول "إنهم لم يكتفوا بتفريخ الأجنة، فهذا عمل يمكن أن تقوم به أي بقرة! إننا نحدد أقدار الأجنة ونكيفهم، نحن نفرغ أطفالنا، ليصبحوا أناسًا اجتماعيين، أو ليصبحوا من سلالة "الألفا" أو "الإبسيلون" كي يصبحوا في المستقبل عمال صرف أو ... أو يصبحوا مديري المفارخ"(٢٠) أي أن أشباه "هكسلي" صاغت لهم الحياة بكل تفصيلها دون إرادة منهم مما يؤكد على مبدأ خلو هذه الفئات من الهويات المختلفة، بغرض حكم العالم المطلق.

أما "نصر الله" فير في روايته سبل تحقيق السيطرة على الكون من خلال احتكار أجهزة الاستنساخ في يد طبقة الحكام فقط يقول "هذا الجهاز،

مع عشرة أجهزة أخرى، في عشرة عواصم كبيرة، تملكها الشركة مباشرة، لا المستشفيات وهي لا تنوي تعميمها أكثر من ذلك"(٢١)، الغرض من هـذا الاحتكار استمتاع هؤلاء الحكام بفكرة حكم الأشباه أولاً، ولكن تبقى الفوضى نتاج عمليات الاستنساخ بوجه عام، إن فرض نظرية قيادة القطيع المتشابه على العالم تخلق مدناً تموج بالفساد والشرور، مدن بلا هوية محددة تختفي فيها بصمة الإنسان التي تميزه عن غيره فتعم الفوضى والخراب.

(٣) التقسيم الطبقي وسيطرة الحكام:

من أهم مظاهر المدن الديستوبية عدم المساواة بين البشر، وانتشار العنصرية الطبقية، والإبقاء على صورة المجتمع المجزأ إلى شرائح متفاوتة، لها قمة يعتليها الحُكام المعصومون من الخطأ والممتلكون لقدرات خارقة وقوى علمية غير مسبوقة، بالإضافة إلى تحكمهم في مصائر شعوبهم دون مناهضة أو ثورة قد تحدث نتيجة لهذا الحكم العنصري، وقُدمت التقسيمات الطبقية في الروايتين موضع الدراسة بمعالجة سردية جديدة ظهرت فيها عناصر الكتابة الحداثية المهتمة بتعميق الخيال العلمي في فن الحكي. ففي رواية "عالم جديد شجاع" يظهر مفهوم جديد للفكر الطبقي، حين تلعب الهندسة الحيوية دورها المهم في تنفيذ فكرة الاستنساخ وربطها بالتقسيم الطبقي فينتجون أفرادًا وجماعات مختلفة الصفات الاجتماعية والذهنية فيصبحون أداة طبيعة في يد الحُكام عندما يقسمون البشر إلى سلالات متفاوتة يتحكمون في أقدارها فمنهم طبقة العمال ومنهم طبقة الحكام ولم يكن التحكم في طبقتهم الاجتماعية فقط، بل هناك نوع آخر من التقسيم الطبقي الذهني فقسموا أشباههم إلى قطعان من الأذكياء للوظائف العليا، وقطعان أقل ذكاءً للوظائف الأقل، ثم أخيرًا طبقة الأغبياء لأعمال الصرف

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والخدمات، أيضًا كان التقسيم الطبقي للجسد، فهناك مَنْ يمتلكون صفات جسدية قوية وأخرى ضعيفة، وهناك مجموعات للبيض وأخرى للسود، وفي المقطع الآتي من الرواية يتضح أحد أوجه التقسيم الطبقي في المدن الديستوبية وهي استخدام تقنيات الاستنساخ الحديثة في إنتاج طبقات مختلفة الأقدار كما يزعمون يقول مدير المختبر "يرتدي أطفال "الألفا" اللون الرمادي، وهم يعملون بجد أكثر مما نفعل؛ وذلك لأنهم غاية في البراعة، وأنا سعيد جدًا لكوني (بيتا)؛ لأنني لا أبذل جهدًا مماثلاً، ومع هذا : فنحن أفضل كثيرًا من سلالات (الجاما) و(الدلتا)، فـ (الجاما) أغبياء وكلهم يرتدون اللون الأخضر، بينما يرتدي أطفال (دلتا) اللون الكاكي آه .. أنا لا اريد أن ألعب مع أطفال (دلتا)، أما (الإبسيلون) فهم أكثر سوءً، وهم أغبى من أن يستطيعوا (...) كأن يشعر بالمهانة أن يجد نفسه مُضطرًا إلى النظر إلى وجه أحد أفراد "دلتا" على نفس مستوى البصر بدلاً من أن ينظر إليه من علٍ، ويتساءل هل سيعامله هذا الفرد بالاحترام الواجب لطبقته؟ (..) "فالجاما" و"الدلتا" و"الإبسيلون" قد كيفوا إلى حد ما كي يربطوا بين ضخامة البنية والمكانة الاجتماعية"(٢٢)، وتأكيدًا على سيطرة طبقة الحُكام على إنتاج أفراد الشعوب بالنظام الطبقي المرجو لهم، قاموا بتعيين مسئولين عن تكييف قطعان البشر المستنسخة وفق الوضع الطبقي المُراد لهم، ويتم هذا في غرفة "التكييف" التي يرأسها "معين الأقدار" أي الشخص الذي يطبق قوانين المدن الديستوبية ويختار لأبناء شعوبها من المستنسخين أقدارًا بعينها، ظنًا من هؤلاء الحكام أن تحديد الطبقات سيكون مصدرًا للسعادة.

و "نصر الله" تأثر كثيرًا في روايته بالنظم القمعية في بلاده، فهو فلسطيني أردني، يرى الأجهزة الأمنية والاستخباراتية أقوى طبقات المجتمع،

يمتلكون دائمًا صنع القرار، وقد ضمن "حرب الكلب الثانية" هذا الفكر، بل وزاد عليه توظيف تقنيات العلوم الحديثة لخدمة السلطة الحاكمة، وقد قُسم مجتمع "حرب الكلب الثانية" إلى طبقات بينها تفاوت كبير، يعلوها طبقة حُكام القلعة، يليهم الهيئات الشرطية والأمنية، ثم الطبقات الكادحة من عمال وسائقين وممرضين، وفي مدينة "نصر الله" المظلمة، يحدث التمايز الطبقي في قوة الإبصار، فلم يتمتع الجميع بمستوٍ واحد من الرؤية، ولكن القوة الكبرى للرؤية تمتلكها القلعة، ثم مَنْ يليها من المشتغلين في الأجهزة الأمنية بغية إحكام السيطرة على شعب الديستوبيا، ورغم تمتع هذه القوى بمستوى رؤية متطور عن أبناء الطبقات الكادحة، فإنهم قد قاموا بتقسيم داخلي آخر داخل طبقاتهم فلم تمنح هذه القوى بدرجات متساوية، بل مُنحت بتدرج الرتب والمناصب الأمنية، يقول "نصر الله" شارحًا قدرات مستحدثات العلم في روايته ومؤكدًا على تقديس الطبقات الأمنية في ديستوبيته "بسبب اضطرار الأجهزة الأمنية للعمل في فترات ظلام أطول، تم تطوير قوة إبصار العاملين في الجيوش والاستخبارات والشرطة لتمكينهم من السيطرة على الأوضاع الجديدة، بعد أن استطاع العلماء فك الشيفرة الوراثية لعين طائر البوم وقدرتها على الإبصار ليلاً، وكان تعديل قدرة العين على الإبصار يتلاءم صعودًا مع الرتبة التي يصل إليها الجندي أو رجل الأمن، في وقت تُرك للناس أن يطوروا قوة إبصارهم بشكل طبيعي، إن استطاعوا!!"(٢٣).

من الواضح أن مدينة "نصر الله" يجوز أن تُسمى بأرض الظلام، فهي مظلمة دائمًا تفوح في أرجائها رائحة الموتى ومع ذلك لا يمكن أن يمتلك أفرادها من الطبقات الدُنا قوة الإبصار، وهو ما يؤكد الصبغة الديكتاتورية لمجتمعات الديستوبيا.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تجدر الإشارة إلى أن الكاتبين اتفقا على إخفاء الحاكم في الروايتين، وأتى ذكرهما عبر آليات الحكي، فلم يشاركا في حوار أو حدث روائي مشاركة مباشرة فقد كان الحديث عن مستر "فورد" ورمزه "T" بوصفه منشأ هذا العالم الجديد الشجاع في رواية "هكسلي"، وكذلك كان الحديث عن حاكم القلعة وقيادته للمدينة في رواية "نصر الله" عبر تقنية التلميح فلم يحدث أن ألتقى القارئ به مباشرة في "حرب الكلب الثانية"، ونلاحظ من ذلك أن الكاتبين قد وضعا الحكام فوق الطبقية فأوصلاهما إلى مرتبة الآلهة والأولياء في مدن بلا دين أو مقدسات، وهو ما صرح به "هكسلي" في روايته بقوله عن "المبجل فورد" : "لا بد من طاعة مولانا فورد"(٢٤)، يمثل "فورد في الرواية قمة الهرم الطبقي، ولكنها قمة أسطورية فهو حاكم غير عادي له خوارق يحكم من خلالها العالم.

– يبقى نقطة التقاء أخيرة بين الروايتين وهي سعي أفراد الطبقات العليا إلى تجهيل الطبقات الدُنا ومعاملتهم كأسرى حرب مثلما شبههم "نصر الله" أو كأغبياء كما سبق الذكر في رواية "هكسلي"، فالروايتان وضعت لهذه الطبقات الدُنا محددات نفسية واقتصادية وتثقيفية تمنعهم من التفكير في تخطي حاجز وضعهم الطبقي البسيط.

(٤) هدم التاريخ ومحو الماضي:

حرصت الروايتان "علم جديد شجاع" و"حرب الكلب الثانية" على هدم التاريخ ومحو ماضي الأمم والحضارات، وكان لهذا المحو أسبابه، فمدن الديستوبيا قائمة على نشر فكرة التجهيل للطبقات الدُنا، وتعتيم الحقائق عن الطبقات الأعلى حتى لا تحدث المقارنات بين ما كان من مُثل وقيم وحضارات

أصيلة، وبين ما هم فيه من خراب وفوضى واستعباد رغم التقدم العلمي الذي جعل حياة الإنسان أسهل وأسرع، الأمر الثاني هو رغبة حُكام هذه المدن في رسم خريطة جديدة للعالم الحديث تتناسب ومبادئ حيواتهم السياسية أي أنهم يسعون إلى إعادة كتابة التاريخ دون ازدواجية فكرية فلا مقارنة بين الماضي والحاضر، مما يُسهم في تنفيذ آليات السيطرة الكلية على حياة الشعوب.

لخص "هكسلي" نبذ المدن الديستوبية للتاريخ والحضارة القديمة في عبارة رددها أحد مراقبين العالم على أسماع الطلاب وهي في الآن نفسه مبدأ المبجل "فورد" في حكم العالم حيث صاح بصوت عميق قوي "التاريخ هراء!" ثم لم يلبث أن أكد على محو التاريخ كلية من مدن العالم الحديث في مقطع خطابي تعليمي ملزم لعقول الطلاب بضرورة الاقتناع والتنفيذ يقول: "التاريخ هراء! ولوح بيده، فكانما أزاح بمضرب خفي من الريش بعض الأتربة القليلة وخيوط العنكبوت وكانت هذه الأتربة والخيوط تُمثل الأماكن التاريخية، فكأنه محا بإشارته المستهينة قرية هاربا، ومدن أور، وطيبة، وبابليون، وكنوسوس، ومايسينيه، خفقتان بالمضرب أزيح بهما تاريخ حضارات كاملة، وأين ذهب أديسيوس بطل حرب طروادة؟ أين ذهب أيوب النبي؟ وجوبيتر الإله الإغريقي؟ وجوتا ما بوذا؟ والمسيح ابن مريم؟ خفقة أخرى وإذا ببعض ذرات التراب الأثرية المسماة بأثينا وروما والقدس والدولة الفرعونية الوسطى تختفي في لمح البصر...."(٢٥) من هذا المقطع يظهر الإصرار على محو التاريخ والحضارات والتحقير من شأن ماضي الإنسانية شرقًا وغربًا حين شبه التاريخ بحفنة تراب يجب التخلص منها، أو خيوط عنكبوت قديمة يحاول قطعها؛ ليقطع الصلة بين الماضي والحاضر.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتلتقي روايات الديستوبيا العربية والغربية في الفكرة نفسها، فتتكرر تيمة هدم التاريخ ومحو الماضي في رواية "نصر الله" رغم اعتماد حدثها الرئيس على اجترار الماضي واسترجاع ذكرى حرب الباسوس، ولكن "نصر الله" عبر عن نظرة شمولية لمدن الديستوبيا الرافضة للتاريخ الإنساني عامة فيصف "نصر الله" رائد بطل "حرب الكلب الثانية" عندما انقلب على ماضيه ومعتقداته وإنساق طائعًا إلى مستحدثات الأمور بقوله: "على الرغم من أن راشد بدأ حياته ملتزمًا بقضايا البشر، ليس في وطنه فقط، بل في كل البلدان، إلا أن التغيرات الكثيرة التي عصفت بالعالم وشبه الإجماع البشري على إلغاء الماضي وذاكرته السوداء، بما يعنيه ذلك الانقلاب في المعتقدات، جعلته يقنع نفسه، خلال وجوده في السجن، بأن تجد لها، وتعني نفسه، مكانًا في هذا العالم الجديد"(٢٦) من الواضح أن البيئة السياسية "لنصر الله" قد أثرت بشكل لافت على نظرته الروائية، "فراشد" نسي تاريخه النضالي وتاريخ العالم الإنساني كله أثناء وجوده في السجن، وليس هذا فحسب بل قرر الانضمام إلى سادة المدن الديستوبية حتى وإن كان ثمن هذا إيمانه بمبادئ المدن الفاسدة ومحو تاريخ الأوطان؛ أي أن السجن استطاع أن يحول راشد من النقيض إلى النقيض فأمن بضرورة كتابه تاريخ جديد، مع ضرورة طمس ذاكرة الماضي السوداء.

(٥) **مدن اللادين**:

من المسلم به أن الانهيار القيمي لمدن الديستوبيا لابد وأن يكون نابعًا من انهيار أعظم شأنًا، فهذه المدن ألغى حكمها مشاعر الطاعة الإلهية وهدموا التابو المقدس في نفوس شعوبها، فصارت الكتب المقدسة مصدر شقاء، وصارت التعاليم الدينية مسارًا استهجان بل وتهمة يعاقب عليها

الأفراد بالسجن أو النفي، وتقوم مدن اللادين على انتشار الفوضى والفساد والجنس المحرم، والمخدرات؛ والاستنساخ وغيرها من مظاهر الانهيار القيمي، فالأديان جميعها تتفق على الرقي بحياة الإنسان في كل زمان ومكان، وقد صرح "هكسلي" تصريحًا مباشرة في روايته "عالم جديد شجاع" نبذ الدين في المدن الحديثة وإلغاء وجود الرب كلية يقول: "في هذا العالم الجديد.. إنك تستطيع الاستغناء عن الرب فقط في حال شبابك وثرائك، لكن هذا الاستغناء وتلك الاستقلالية لم تكن لتحملك آمنًا حتى توصلك إلى نهاية رحلتك، أما الآن، فنحن ننال الشباب والرفاهية حتى النهاية. فما الذي يتبع ذلك؟ يتبع ذلك هو أنه يصبح جليًا أننا نستطيع الاستغناء عن الرب"(٢٦) إن حُكام هذه المدن أحلوا مبادئهم محل القوانين الإلهية، حتى لا تفيق هذه الشعوب من غفلتها وتدرك ما لها من حقوق في هذا العالم، لقد غيب حُكام هذه المدن العقول بمخدر "سوما" فيتناسى الجميع حقوقهم في عالم نظيف، ويغيب الوعي الجمعي عن الحياة الروحية وينهار الدين، إنهم ينشأون الصغار على فكرة اللادين، ويزرعون في أذهانهم أن الكتب المقدسة تحمل بذاءات تاريخية، بل ويجعلون أطفالهم يسخرون من صور أصحاب الديانات(*)، لهذا فإن هذه المدن لن تجد لها خلاصًا يومًا ما من طغيان الفساد والفوضى إلا إذا ما أعادت لشعوبها حرية المعتقد، وتخلت عن تشويه الدين والقيم السامية.

اختلفت معالجة الوجود الديني في حياة الشعوب في الديستوبيا العربية عن نظيرتها الغربية فلم يصرح "نصر الله" بإقصاء الديانات في روايته، ولكن المتلقي استوعب ذلك ضمنيًا، فمدن "نصر الله" خالية من أماكن العبادة، وينتشر فيها القتل وتجارة المخدرات، والتدخل في خلق الله

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

واستنساخ أشباه متماثلة، وقتل المرضى وانتشار الظلم، هذا الانهيار القيمي لا بد وأن يحدث في مدن خالية تمامًا من الإيمان بوجود الإله المسير لحركة الكون، ولعل عدم تصريح "تصر الله" بخلو مدن روايته من الفكر الديني يرجع إلى اختلاف تلقي فكرة نبذ الدين في مجتمعه العربي.

(٦) **الجنس والحرية**:

اهتم النص الديستوبي اهتمامًا بالغًا بتوظيف تيمة الجنس داخل رواياته، وربطها بثلوث لا ينفك عنها بشكل مباشر أو غير مباشر، فقدم الكُتاب مدن اليوتوبيا المضادة الجنس من خلال علاقته بالسياسة والدين والتقدم العلمي، ولاحظت الدراسة قيام بناء رواية "هكسلي" "عالم جديد شجاع" على تيمة الجنس وعلاقته بعمليات الاستنساخ، وربطها برغبة الحُكام في اتباع سياسات القمع وكبت الحريات.

فقامت مدن "عالم جديد شجاع" على ترسيخ المفاهيم الجنسية في عقول الأطفال المتشابه مُنذُ سنوات عمرهم الأولي، وذلك حتى تكتمل سيطرة الحاكم "المبجل فورد" على الأجيال القادمة بتمكين الشهوات من الوعي الجماعي للشعوب، ولكن جنس فورد جنس متعدد مباح دون زواج، لأن الزواج نظام اجتماعي أحادي يحجم الحيوية والعفوية؛ لهذا تم تجريم فعل الزواج الأحادي في أذهان الأطفال، فنشأوا على مبدأ العلاقات القصيرة وتبادل الفتيات والفتيان في عمليات جنسية محددة الأوقات وتحدث تحت رقابة صارمة، بغية تحقيق مبدأ "فورد" في المدن الديستوبية" الجميع ينتمي للجميع" أو بعبارة أخرى الجميع يرتبط بالجميع دون حرية أو خصوصية، والجنس في رواية "هكسلي" طقس من طقوس العربدة والانهيار القيمي

يقولى: "طقس العربدة، فورد ومداعبة، قتل الفتيات واجعلهن واحدة، وفي سلام؛ فليتحد الفتية مع الفتيات في طقس عربدة يفرغ الكبت"(٢٧)، إنه يصنع العربدة جينيًا، فيتحكم في جينات الأشباه ليصنع جنسًا بمواصفات خاصة، فتصبح المرأة كقطعة اللحم وتسقط العاطفة في غيبات النسيان لأنها مصدر لترنح المجتمعات في الفكر الفوردي(*).

أيضًا استطاع الحاكم أن يضع معاييرًا للقيام بالعملية الجنسية من خلال الإعداد الجيني للاشباه "خمسمائة تكرار، مرة أسبوعيًا، من الثالثة عشر إلى السابعة عشر"(٢٨)، وبطبيعة الحال هذا الإعداد الجيني خارق للطبيعة البشرية، ولكن مدن الديستوبيا يخدمها العلم الحديث ويتحكم في مقدرات شعوبها، كما أن "هكسلي" محا وظيفة الجنس البيولوجية في إعمار الكون بالتكاثر، وأحل محله التوالد الأنبوبي، فلم يعد لدى فتيات "عالم جديد شجاع" القدرة على الإنجاب، قيد "فورد" الحريات بقيد الجنس فأتاحه للجميع تحت مراقبة الجميع، وجرد البشر من حقوقهم الطبيعية في العاطفة والإنجاب، بل وكسر الدين وتعاليمه المنظمة للعلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة عن طريق نظام اجتماعي صحيح.

أما وضعية الجنس في الرواية العربية الديستوبية فقد جاء مرهونًا بثقافة الشرق إلى حد كبير، فسعى الكُتب إلى تقديمه عبر تقنيات التلميح والرمز، وفي رواية "نصر الله" ارتبط "الجنس" بالتقدم العلمي، عندما انتشر الاستنساخ في مجتمع مدينته، بل إن رغبة "راشد" بطل الرواية في ممارسة الجنس مع سكرتيرته دفعت به إلى نسخها من زوجته دون أن يشعر مَنْ حوله، ولكن صنيع السوء انقلب على صاحبه، فنسخ جاره "الراصد الجوي" نفسه من صورة "راشد" حتى يستطيع ممارسة الجنس مع زوجته، الأمر

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الذي دفعه لمحاولة قتله، ولم يكن راشد فقط من لجأ للقتل وإنما بات فعل القتل خطر يهدد الجميع عندما أتاح العلم للأفراد أن يتشابهوا، وحُكام القلعة لم يجدوا في هذا الأمر غضاضة، بل تركوهم يتشابهون فيبقون على المؤيد لهم ويتركون الباقيين يقتتلون، كما إنهم لم يجرموا الأفعال الجنسية الناتجة عن هذا الاختلاط، فلا بأس من أن تكون المتعة متاحة للجميع(*).

(٧) **موت الموت**:

تمظهر الموت في الروايتين موضع الدراسة من خلال تخييل سردي حداثي يتوافق والطبيعة الغرائبية السائدة في روايات الديستوبيا وقد بدا الموت في مظهرية الحقيقي والمجازي رمزًا يموج بالدلالات والإيحاءات الجديدة على المتلقي، ففي رواية "عالم جديد شجاع" مات الهدف من حياة الإنسان وإعمار الكون مُنذُ اللحظة الأولى في الرواية، وذلك عندما أحلت الأنابيب محل الأمهات والآباء في تفريغ البشر، بل وأصبح الإنسان محددًا بموعد نهاية مسبق، فكان من مظاهر عجائبية رواية "هكسلي" التحكم العلمي والبشري في إنسان هذا العصر، فغدا موعد ميلاده محددًا وموعد موته معروفًا، بل ويتم تهيأت الأطفال في مدن الديستوبيا إلى تلقي موعد موتهم منذ لحظات ميلادهم الأولى، أي أن الموت صار ظاهرة حياتية منسجمة مع الحياة وليست مضادة لها، ويصف "هكسلي" عملية تكييف الأشباه على الموت بوصفه ظاهرة فسيولوجية طبيعية بقوله: "لقد عادوا لتوهم من محرقة سلو، حيث يبدأ التكييف على الموت من الشهر الثامن عشر، ويقضي كل طفل يومين أسبوعيًا في مصحة للمشرفين على الموت، وتحفظ أفضل لعبهم هناك، ويمنحون مثلجات بالشيكولاته في أيام الموت، هناك يتعلمون أن ينظروا للموت كأمر طبيعي (...) مثله مثل أي عملية فسيولوجية

أخرى"(٢٩) لقد أمات العلم الحديث الموت في إعلان صارخ عن قدرته في تحدي الأقدار في مدن الفساد، حيث اجتمعت سلطات الحياة والموت في يد حاكم واحد هو "مستر فورد" فلا حياة أو موت إلا من خلاله ولكن حياته لها مفاهيم خاصة بها، وكذلك موته تحول إلى ظاهرة حياتية طبيعية تنتمي إلى الحياة وليست نهاية لها.

أيضًا لا يمكن إنكار أن عملية "التكيف مع الموت" هي وسيلة لإماتت العاطفة الإنسانية في نماذج بشرية متشابهة أراد لها "فورد" أن تملأ الكون، وتصنع مستقبلاً مختلفًا لا مكان فيه للجزع أو الخوف من مجهول غيبي.

واتفق "نصر الله" مع "هكسلي" في جعل الموت أمرًا طبيعيًا، تنتشر رائحته في كل مكان بالرواية، فهو يملأ الأرض والسماء أينما توجه أبطال الرواية تصبح مهمة ألتقاط أنفاسهم في الشوارع والطرقات مهمة مستحيلة، خاصة مع نجاح مشروع الموت في المستشفيات وزيادة أرباحه في مدن الديستوبيا، كذلك فإنه من غير الممنوع ترك جثث الحيوانات والطيور النافقة في الطرقات، بجانب انتشار مشاعر التوحش في نفوس الأشباه فقضى كل شبيه على مثيله.

كثُرت مشاريع الموت في ديستوبيا "نصر الله" فكان منها مشروع أسرى الأمل(١) أو الخراف الضآلة، وهو مشروع يجذب المرضى له من شتى بقاع الأرض إلى مستشفى القلعة الحاكمة من أجل إعطائهم قوة الحياة المتجددة وذلك نظير أموال طائلة، وعبر جسر جوي مملوك للدولة، ورغم هذا فإن هذا المشروع لا يبالي بموت خرافه الضآلة، لأن في موتهم ربح أيضًا يقول: "ومن هذه النقطة بالذات بدأ راشد ببناء عدة جسور جوية بين أكثر من بلد، وكلها مخصصة لأولئك الذين أصبحوا من أسرى الأمل ..

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فتوسع المستشفى كثيرًا، بحيث لم يعد بحاجة لقبول أي خراف (ضآلة) تأتي عن طريق المطار، (...) صحيح أن أناسًا كثيرين كانوا يأتون على مقاعد الدرجتين الأولى والسياحية، ويعودون في توابيت محكمة إلى بلادهم، إلا أن المعادلة البسيطة قائمة دائمًا: حيث يعيش أناس يموت أناس، وحيث ينجو أناس يهلك آخرون"(٣٠) من الواضح أن فكرة "هكسلي" عن الموت وضرورة التعايش معه، قد تحققت في ديستوبيا "نصر الله" فلا خوف من الموت رغم انتشاره في المدينة كلها، بل أصبح الحُكام يستعينون بأجهزة الأوكسجين للتعايش مع الروائح العفنة في البيوت والطرقات، وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن "نصر الله" جعل للموت تمظهره الرمزي فرمز به إلى موت النظم السياسية والقيم الاجتماعية في بيئته العربية التي أعتادت هذا الموت وتأقلمت معه.

المبحث الأخير

آليات السرد الديستوبي في روايتي

"عالم جديد شجاع" و"حرب الكلب الثانية"

مدخل :

شغل مفهوم السرد وتجلياته أذهان النقاد والباحثين مُنذُ القدم، فقدموا آراءً ومفاهيمًا متعددة يدور معظمها حول نص الحدث المبتكر من خيال الكاتب أو مُحاكٍ لحقيقة خبر متداول؛ ولكي يتم للنص حضوره السردي لا بد من آليات منظمة لسيرورته فلا سرد دون أحداث وشخصيات وفضاءات زمانية ومكانية تتفاعل جميعها من أجل صياغة فنية منتجة لعملية الحكي.

ويعرف يقطين السرد بقوله: "هو نقل الفعل القابل للحكي، وجعله قابلاً للتداول سواء كان هذا الفعل واقعيًا أو تخيليًا أو سواء تم التداول شفاهة أو كتابة"(٣١)، ويُقصد من هذا أن الحدث السردي يجوز أن يكون واقعيًا أو تخيليًا شفهيًا أو كتابيًا باستخدام لغة خاصة وآليات خطاب قابلة للحكي المنطقي الواضح في ذهن المتلقي، هذه المنطقية تتحقق عبر مجموعة من الشروط الحاكمة لفعل السرد وهو ما يوضحه لطيف زيتوني بقوله عن فعل السرد: "هو فعل يقوم به الراوي أو السارد الذي ينتج قصة، وهو فعل حقيقي أو خيالي، يتمظهر في الخطاب الذي هو طريقة التناول والعرض، ويشمل السرد على سبيل التوسع بحمل الظروف المكانية والزمانية والواقعية والخيالية التي تحيط به، فالسرد هو عملية إنتاج يمثل فيها الراوي دور المنتج، والمروي له المستهلك والخطاب دور السلعة المنتجة"(٣٢)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالسرد حسب هذا المفهوم متعلق بالراوي وقدرته على ترتيب آليات الخطاب داخل النص.

وتعد الرواية من أهم الفنون الأدبية القادرة على التنوع واستيعاب غيرها من الأجناس الأدبية، لتنصهر معها منتجة أشكالاً جديدة، هذه السعة الاستيعابية جعلتها تتنوع داخليًا أولاً، فبجانب أنواعها الكلاسيكية المعروفة ظهرت أشكالاً حداثية تطورت بتطور الحياة العلمية والقدرات التخييلية الجديدة مما أسفر عن أنواع روائية تحمل شحنات سردية غير مألوفة، ومن هذه الأنواع روايات الخيال العلمي، وروايات مدن الديستوبيان وروايات الواقعية السحرية، وغيرها من الأنواع التي أنقذت الرواية في الفترات الأخيرة من الموت وجعلتها أكثر تفاعلاً مع سُبُل الحضارة الحديثة.

والدراسة سوف تقدم نموذجًا تطبيقيًا لآليات السرد في روايات المدن الديستوبية، وهي نوع من الروايات الحديثة نسبيًا في الثقافات العربية والمعروفة مسبقًا في البيئات الغربية، لهذا فإن الدراسة تهدف إلى القيام بالمقارنة بين آليات السرد الديستوبي في البيئتين الغربية والعربية في روايتي "عالم جديد شجاع" لهكسلي و"حرب الكلب الثانية" "لإبراهيم نصر الله"، من خلال المحاور الآتية:

أ- المحور الأول : النص الموازي وسيمياء العنوان

ب- المحور الثاني : الرؤية السردية

ج- المحور الثالث : بنية الكرونوتوب في روايات الديستوبيا

د- المحور الأخير : تمظهرات الشخصية في الروايات الديستوبيا

أ- المحور الأول : النص الموازي وسيمياء العنوان:

عند الحديث عن العتبات النصية أو النص الموازي لا بد من الإشارة في عُجالة إلى ريادة جيرار جنيت في التنظير ولفت النظر إلى ضرورة دراسة كل العناصر المكونة للنص وملحقاته، وقد أفرد جنيت كتابًا بعنوان "Seuils" لدراسة عناصر النص الموازي أو العتبات النصية وربطها بمضمون العمل الروائي عامةً، وتُعرف عتبات النص بأنها: "مجموع العلامات غير اللغوية التي تحيط بالنص من جميع جوانبه، مُشكّلة نظامًا إشاريًا ومعرفيًا مهمًا لا يقل أهمية عن النص الذي يحيط به"(٣٣) وهو ما يعضد معه مفهوم التوازي للنص الرئيس بل والتكامل أيضًا، فعتبة النص هي مفتاح مغاليقه وحافز تلقيه ويرى جنيت أن النص: "لا يظهر عاريًا من عتبات لفظية أو بصرية"(٣٤)، أي أن قراءة النص الأساسي لا بد لها من قراءة أولية لعتبات النص الأولى؛ بغية فك شفراته وفهم أبعاده الدلالية، ورصدت الدراسة علامات سيميائية لعتبات النص في الروايتين موضع التطبيق كان أهمها:

١- عتبة العنوان:

يحمل العنوان شحنات دلالية مكثفة لنصه المرجو، ويقوم بمهمة كشف أعماق النص منذ لحظاته الأولى، فيقدم "العنوان اسم الكتاب وتعريف القراء به بدقة ووضوح، مقللا بذلك من اللبس بين اسم المؤلف وغيره من المؤلفات، كما يقوم بإدلاء المعلومات عن النص على نحو ملخص موح، وبذلك تكون وظيفته تلخيصية أو دلالية أو صفية، وتنطوي هذه الوظيفة على قيمة إيحائية تحيل إلى النص، والعنوان مبعث الإغراء لدى القارئ؛ إذا

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يثير تشوقه ويزيد رغبته في قراءة الكتاب والانتقال إلى محتواه وهذا خير دليل على أن العنوان سمسار للكتاب، وقد يكون النص أقل إغراء منه"(٣٥).

إذن يمكن القول أن العنوان علامة سيميائية لها مدلولات خاصة في عالم رواية ما بعد الحداثة والتي يندرج تحتها روايات الديستوبيا، تلك التي تحتاج إلى محاورة النص من خلال عنوانه أولاً ومحاولة فك شفراته للوصول إلى مركزية الرواية.

وفي رواية "عالم جديد شجاع" لهكسلي يبدو للدراسة أن العنوان يسعى لأحداث حالة إدهاشية مقصودة في ذهن القارئ، فيجد نفسه واقعًا بين عالمين فضائيين عالم جديد يقصده الكاتب، وعالم قديم يعرفه المتلقي، وليس هذا فحسب بل أن نعت العالم بالجديد يستدعي معه أزمنة متضادة زمن العالم الجديد المستقبلي وزمن العالم القديم الماضي، كذا فإن لفظة "جديد" أوجدت صراعًا خفيًا هدفه البحث عن هوية هذا العالم وما يحمله للإنسان من مفاجآت، والكاتب يُتبِع عالمه بصفة أخرى وهي "شجاع" ليصير للمبتدأ صفتان دون خبر معروف، فنعت العالم بالشجاعة يجعله يقارن بين عالمه القديم والعالم المقصود بالرواية، ليفهم أنه بات من المؤكد أن يتغير عالم ما بعد الحرب ليصبح أشجع مما كان، وتتحد الصفتان "جديد" و"شجاع" لتخبر المتلقي بإنه أمام رواية المستقبل المنتظر والرواية بعنوانها الدال على انتظار العالم لمستقبل جديد يتصف بقدراته على مواجهة تحديات البشرية بشجاعة تصنع مفارقة إدهاشيه فالتناقض واضح بين العنوان والمحتوى، فعالم الرواية الداخلي عالم ديستوبي يعيش واقع يبدو منظمًا ولكنه واقع مرير لمدينة يتغلغل فيها القهر والفقر ومركزية السلطة واستنساخ البشر ليصبحوا قطعانًا مسيرة، ومحو ذاتية الأفراد، والقضاء على كيان الأسرة

وهدم التاريخ وسقوط الدين والأخلاق، هذا التناقض الواضح مع عنوان الرواية المتفائل بعالم جديد شجاع يحدث انقلابًا في عالم القارئ الذهني عند مطالعته للرواية ليرى العالم الجديد الشجاع عالمًا كابوسيًا منفرًا، وتفلح حيلة الكاتب في جعل مفارقة العنوان سببًا من أسباب نجاح روايته.

وعند النظر إلى رواية "حرب الكلب الثانية" "لنصر الله"، تجد الدراسة العنوان يأخذ المتلقي نحو غرائبية مقصودة فيقف أمام لفظتين محوريتين في العنوان وهي لفظة "حرب" ولفظة "كلب" ليصنع مفارقة غرضها إثارة تساؤلات حول هذه الحرب المرتبطة بالحيوان، فمن المعروف أن الحروب مرتبطة بالإنسان بشكل أساسي، كذا فإن لفظة "الثانية" تدلل على أن هناك حرب أولى للكلب وحروب ثالثة وحرب رابعة وحروب غير منتهية، بالإضافة إلى أن العنوان يتناص بشكل غير مباشر مع التاريخ العربي القديم عندما كانت الحروب تتعلق بالحيوانات مثل حرب "البسوس" وحرب "داحس وغبرياء" – حروب الناقة والفرس، التي دامت لفترات زمنية طويلة، والكاتب قصد من مفارقته هذه لفت الأذهان إلى السخرية من أسباب الحروب الإنسانية التي طال أمدها، غالبًا ما كانت أسبابًا صغيرة وبسيطة وكأن عقل الإنسان تبدل بعقل الحيوان فيتصارع من أجل صغائر الأمور غير مبالٍ بما تخلفه الحرب من آثار مدمرة.

وعنوان "نصر الله" لا تنتهي حدود تواجده على غلاف الرواية ولكنه ارتبط بسلسلة من العناوين الفرعية لفصول الرواية، والمؤدية إلى الفكرة نفسها وهي قيام الحرب من أجل صغائر الأمور في مدن الفوضى والفساد، ويشكل العنوان الرئيس "حرب الكلب الثانية" بداية التخطيط لإسقاط الإنسانية ونهاية العالم بالحرب، ثم تظهر على صفحات الرواية عناوينًا داخلية مؤدية

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

للنهاية المتوقعة ففي البدأ يأتي عنوان "مقدمات الحرب" ثم "عن الطرفة والمأساة" ثم الرحلة السرية" ثم "موسم الفوضى" ثم "موت الضياع" فأولى شرارات الحرب" و"الجريمة الكاملة" وأخيرًا "حرب الكلب الثالثة"، ويبدو من هذه العناوين رغبة الكاتب في استهلال متنه الروائي بفكرة مسبقة عن الحرب عامة ثم أفكار جزئية تصنع تشريحًا للأسباب والنتائج، والناظر إلى متن الرواية بعد قراءة عناوينها يصدق فكرة الحرب من أجل الكلب أو القرد أو الناقة؛ وذلك بوصفه نتيجة منطقية لاستهانة الإنسان بفعل الخراب والتدمير بجانب اجتهاده في فرض مستحدثاته العلمية التي أوجدها لخدمة أطماعه في مدن العالم الديستوبي الجديد.

ومما سبق يتضح للدراسة أن الروايتين قد جعلتا من العنوان نصًا ناطقًا بمفردات سدت فراغات السرد الروائي وشكلت نصًا جديدًا يوازي المتن الحكائي ويتكامل معه.

(٢) **المحور الثاني** : **الرؤية السردية**:

حظيت "الرؤية السردية" باهتمام العديد من الباحثين والنقاد، وذلك لإنها تكشف النقاب عن أهم عناصر الخطاب في الرواية، فتضع المعايير المنظمة للعلاقة من الراوي والعمل السردي بصفة عامة، وبين الراوي والمروي له، وأطلق على الرؤية السردية" العديد من المسميات البديلة مثل "البؤرة الرؤية" و"التبئر" و"وجهة النظر"، والمسمى الأخير كان الأوسع انتشارًا، والواضح من هذه المسميات اهتمامها بتشريح المتن الروائي عن طريق تحديد مهمة كل من الراوي والمروي له يقول تزفيتا تودروف عن مفهوم الرؤية السردية" تعني الرؤية الكيفية التي يتم بها إدراك القصة من

طرف السارد"(٣٦)، أي أن الرؤية والراوي وجهان لعملة واحدة، فعمل الرؤية هو اضاح مكانة الراوي داخل أحداث النص، وقد تبارى الباحثين والنقاد في تحديد الشكل النهائي لوضع الراوي داخل الرواية فقدم كل من جان بويون ونورمان فريدمان، وتزفتان تودوروف، وجيرار جنيت تقسيمات مختلفة لوضعه داخل النص، هذه التقسيمات جميعًا استطاع عبد الله إبراهيم حصرها وفق مستويين "المستوى الأول يلمس من خلال كون رؤية الراوي خارجية تصف ما تراه وتقدم الأحداث والشخصيات بحيادية وصفية (...) وتسمى هذه الرؤية الخارجية، ويسمى الراوي بالراوي العليم، أما المستوى الثاني يلمس من خلاله كون رؤية الراوي داخلية، تضفي انطباعات الراوي ووجهة نظره على الأحداث والشخصيات، ويكون شاهدًا عليهما وتسمى الرؤية هذه بالرؤية الداخلية، ويسمى الراوي هنا بالراوي المشارك أو المصاحب"(٣٧)، ومن خلال تلخيص عبد الله إبراهيم السابق لعلاقة الراوي بجميع عناصر السرد ورصد وجهات النظر المختلفة للنقاد تخلص الدراسة إلى أن الرواية بوصفها جنسًا أدبيًا كثيف المظآن سوف تتعدد الاصوات بداخلها خاصة بعد اختفاء الكاتب وتراجع دوره أمام الراوي. وسوف ترصد الدراسة "الرؤية السردية" في رواية "عالم جديد شجاع" لهكسلي و"حرب الكلب الثانية" لنصر الله من خلال النقاط الآتية:

أ- تعدد الرواة في الروايتين موضع الدراسة وتزاحم أصوات الشخصيات في العملين وإن كثرت أصوات الرواة في "عالم جديد شجاع" دون فرق بين شخصية الأساسية وأخرى فرعية، بل أن المتلقي في كثير من الأحيان كان يجهل اسم الشخصية ويراها لمرة واحدة ثم تختفي، أما "نصر الله" فقد أوكل لبطله الجزء الأكبر من رواية الأحداث، ثم تدرجت أصوات

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الشخصيات طبقًا للحيز المكاني الذي تشغله في الرواية؛ ولعل تعدد الرواة في الروايتين يهدف إلى شرح وتقديم هذا اللون الجديد من الكتابات السردية المشحونة بالأحداث الغريبة، والرؤى العجائبية في مدن الديستوبيا، فالكاتبان يقدمان أحداثًا جديدة على العقل البشري، كما إنهما ينذران بنهاية الإنسان أمام مستحدثات العلم، بالإضافة إلى أن تعدد الرواة أتاح للكاتبين التجول بالمتلقي في أزمنة وأمكنة لا متناهية، وذلك من خلال انتقالات الرواة الفجائية من حدث إلى حدث مستخدمين آليات المونتاج أو التقطيع الحكائي وهي آلية سينمائية بالدرجة الأولى اعتمدت عليها روايات السرد الحداثي، كذا فإن تعدد الأصوات داخل الروايتين يعمل على إظهار وجهات النظر المتعارضة ويساعد على استمرار عملية التخييل المقصودة في السرد الديستوبي.

ب- تطلب تعدد الرواة في الروايتين تعددًا في وجهات النظر، فلكل راوٍ وجهته التي تحدد علاقته بالشخصيات والأحداث المشكلة للعالم الروائي لنصه، وظهر هذا التعدد في وجهات النظر في الروايتين من خلال ثلاثة أوجه(*)، الأول الرؤية من الخلف، وفيها يحتل الراوي منزلة الواصي على النص العليم بكل أسراره، والمسيطر على شخصياته وزمانه ومكانه، وتتضح هذه الرؤية في "رواية عالم جديد شجاع" في المقطع السردي الذي يقوم فيه السارد بالتحدث عن صفات أطفال مدن الديستوبيا الذين ينشأون كارهين لقراءة الكتب والنباتات يقول "ولسوف يكبرون بما اصطلح علماء النفس على تسميته (كره غريزي) للكتب والورود، في انعكاسات شرطية لا يمكن تغييرها، ولسوف يكونون آمنين بمعزل عن الكتب والنباتات طيلة عمرهم"(٣٨)، وشابه "نصر الله" "هكسلي" في استخدام الرؤية السردية من

الخلق في الرواية ومثال ذلك ما جاء في المقطع السردي الآتي عن التغييرات التي لحقت بشخصية "راشد" بطل الرواية، بعد خروجه من السجن يقول السارد" وقد حرص على شيء وحيد، وهو أن لا يخضع لرجال القلعة حتى لو قتلوه أو بعبارة متداولة أكثر: أن يخرج برأس مرفوع، كمكافأة نهاية خدمة يقدمها باعتزاز لنفسه، تؤهله أن يعيش، مستقبلاً، بضمير مرتاح..."(٣٩).

في النموذجين السابقين يظهر موقع الراوي من السرد حين يتحدث بضمير الغائب عن شخصيات الروايتين أي أنه يجلس في المقعد الخلفي الكاشف لكل المكونات الأمامية، فالراوي على معرفة كاملة بمستقبل أطفال مدن الديستوبيا في "عالم جديد شجاع" وهو عليم بكل ما يدور في فكر "راشد" بطل "حرب الكلب الثانية" ويبدو واضحًا أن موقع الراوي في الروايتين أتاح له اقتحام أفكار شخصيات هذه المدن بل واستشراف مستقبلها.

الرؤية الثانية للسارد في الروايتين هي الرؤية مع، ويقصد بها مشاركة الراوي للشخصيات في تقديم الحدث دون تجاوز لوجودها، ويلزم هذا النوع من الرؤية تنوع ضمائر الخطاب، ومن النماذج السردية الدالة على ذلك في رواية "هكسلي" حديث المراقب عن نموه وتطوره الصناعي داخل الزجاجة، ونمو طبقة أخرى من البشر لها صفات مختلفة يقول "وكل منا بالطبع يتقدم في الحياة داخل زجاجة، ولكن في حال "الألفا" تكون الزجاجات ضخمة نسبيًا، ولسوف يُعاني بمرارة لو قيد في محيط أصغر"(٤٠) هذا النوع من السرد الذاتي تتنوع فيه الضمائر بين متكلم

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وغائب وفي مواضع أخرى مخاطب، فيبرز من خلاله رؤية الراوي المشارك لجميع شخصيات النص.

الأمر نفسه ينتهجه "نصر الله" في روايته، وفي النموذج التالي يتجلى حضور السارد المشارك من خلال حديث أخت "راشد" عن خوفها من قهر القلعة لها ولزملائها في الجامعة تقول "أكثر ما كنت أخشاه يا راشد أيام الجامعة، أن يعرف زملائي أن أخي يعمل في القلعة، أولئك الزملاء الطيبون الذين يحبون الحياة بكل ما فيهم من قوة، الزملاء الذين غاب كثيرون منهم لأيام وعادوا غير ما كانوا، وبعضهم غاب ولم يعد، لم تره أبدًا"(٤١) لقد كشف المقطعين السابقين عن تعدد الضمائر، واتخاذ السارد ضمير المتكلم أداة لرواية حدثه، والحديث عن مشكلات الآخرين، فتحدث المراقب عن وضعه أولاً في النمو والتطور داخل الأنبوب ثم تحدث عن نمو طبقة بشرية أخرى "الألفا" داخل أنبوبها الكبير والخوف من حدوث تغييرات طارئة على عملية النمو الصناعي، كذا فإن سارد "حرب الكلب الثانية" في المقطع السردي السابق تحدث كذلك بصوت ضمير المتكلم واصفًا خوفه من قهر القلعة، فهذه أخت راشد تروي خوفها من قهر رجال القلعة لها ولطلاب الجامعة في إشارة منها إلى سمات الديكتاتورية في مدن الفوضى والفساد، تجدر الإشارة أيضًا إلى أن هذا النوع السابق من الرؤية قد اتضح فيه مشاركة الراوي في صياغة الحدث حينما رواه بضمير المتكلم، مما أسفر عن لقائه مباشرة بالمتلقي عبر التحام الراوي بالشخصية.

أما الرؤية من الخارج فإنها تتحقق عندما يجهل الراوي بعضًا من شخصياته فيصفها من الخارج بحياد ملحوظ دون تدخل منه سواء بالتعليق أو التفسير(٤٢)، وفي المقطع السردي الآتي يصف الراوي حدثه دون تدخل

منه يقول: "كان ذلك أوان اللعب في الخارج في الحديقة، وتحت أشعة شمس يونيه الدافئة أخذ يركض ستمائة أو سبعمائة من الأولاد والعرايا صارخين بصخب بصخب في المروج أو لاعبين بالكرة، أو جاثمين بين شجيرات الورد في مجموعات صغيرة هادئة من اثنين أو ثلاثة (...) كان الجو في مجمله خاملاً نعسانًا بطنين النحل وهدير الطائرات المروحية"(٤٣) ألتقط الراوي في هذا المقطع السردي صورة فوتوغرافية لحدث مرور أطفال الاستنساخ بحديقة الورد تحت مراقبة المروحيات، إنه يقوم بدور الواصف فقط دون تعليق أو تفسير لما يحدث.

وفي رواية "نصر الله" نجد الراوي الخارجي في مواضع عدة منها على سبيل المثال: "كانت عشرات سيارات الإسعاف نُطلق أبواقها في اتجاهي الشارع. أضواؤها الحمراء المختلطة بروائح الغربان النافقة، ترشق المارة والسيارات العابرة بالدم، وصهاريج الأبخرة الطبية تتقدم بهدوء في الممر المخصص لها، نافثة في جوفها كغيوم رمادية منخفضة. الغريب أن الربح السريع جعل كثيرًا من أصحاب الأموال يستثمرون في هذه السيارات"(٤٤). صور الراوي المشهد السابق تصويرًا حرفيًان كما رأته عيناه، فهو يقف بعيدًا ويرصد حركة المدينة الديستوبية التي تستثمر المرض والموت لتدر أرباحًا طائلة على الحُكام دون أن يعلق أو يفسر على ما يحدث من فوضى وفساد في مدينته.

وبعد .. فيمكن القول من خلال ما سبق أن اعتماد الكاتبين في رؤيتهما السردية على فكرة تعدد الرواة قد أعطى رويتهما موضع التطبيق سمة مميزة حيث كانت الحاجة إلى نقل مجموعة كبيرة من الأحداث والوقائع الخيالية بشكل جديد لم يألفه القارئ من قبل، مما أعطى الفرصة إلى زيادة

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مصادر التلقي وخلق عالم روائي متنوع خدم هذا الشكل الحداثي من الروايات، فروايات الديستوبيا روايات قائمة على فنتازيا الحدث السردي ورديفًا لروايات الخيال العلمي؛ مما يتطلب نوعًا خاصًا من الخطاب الحكائي الكاشف عن مفاهيم الرواية ومقاصدها.

المحور الثالث : بنية الكرونوتوب في روايات الديستوبيا:-

ظهر مصطلح "الكرونوتوب" في البيئات النقدية المعاصرة بوصفه مرادفًا لمصطلح "الزمكانية"، وأشاع استخدامه الناقد الروسي ميخائيل باختين في كتاباته النقدية وقصد به "العلاقة المتبادلة الجوهرية بين الزمان والمكان المستوعبة في الأدب استيعابًا فنيًا باسم (كرونوتوب Chronotope) مما يعني حرفيًا الزمان والمكان"(٤٥)، أي أن العلاقة بين الزمان والمكان علاقة لا انفصام لها، فالزمان ساكن في المكان، والمكان قار في الزمان؛ فهما يمثلان علاقة تشابكية داخل نسيج النص الحكائي، ويعد الكرونوتوب أحد أهم أعمدة الخطاب الروائي كما يرى باختين في قوله: "أي دخول إلى دائرة المعاني لا يتم إلا من بوابة الزمكانات"(٤٦)، هذه الرؤية تعني إلتزام الكُتاب بتقديم أنساق زمانية ومكانية متقاطعة تُسهم بدورها في فهم دلالات النص السردي.

وفي روايات الديستوبيا يرسم الكونوتوب لوحة الفضاء الزماني والمكاني بأدوات مختلفة، مستخدمًا حيل الإدهاش والتخييل بكثافة، هذه الحيل تمثل صعوبة بالغة في استجلاء دوافعها داخل النص الفانتازي، وروايات الديستوبيا بها تمظهرات تخييلية عجائبية حديثة، استدعت معها آليات للكتابة السردية منفتحة على أفق التجديد والتطوير؛ لهذا فإن مصطلح

الكونوتوب أو الزمكانية يجوز استخدامه في إطار ما يُعرف بفضاءات النص، بغية اتساع المفاهيم لاستيعاب مستحدثات الأجناس السردية، ومنها انفتاح الخيال الديستوبي المتحرر من قيود الزمان والمكان التقليديين، وسوف تتابع الدراسة تجليات الكرونوتوب الديستوبي في الروايتين موضع النمذجة من خلال ما يأتي:

تمرد الروايتين على خطية الزمان والمكان المألوفين، فيتداخل فيهما الماضي بالحاضر والمستقبل في جدل غير منتهي، ليتخلخل الاتصال داخل النص ومن الثابت الروايتين إلغاء الماضي بكل ما يمثله من تمظهرات مكانية، فكما سبق وذكرت الدراسة في المبحث الثاني، أن روايات مدن الديستوبيا والتي تمثلها روايتي "عالم جديد شجاع" و"حرب الكلب الثانية" قد نفت وجود الماضي والتاريخ وهدمت كل تابومكاني متصل بهما، فنجد أنفسنا مجبرين على تخلخل أزمنة الحكي فتارة نشعر باتصالنا بالواقع وأخرى ننفصل عنه، وعند اتصالنا بالواقع يصبح الماضي جزءً من الحدث السردي ويلتحم بغيره من الأزمنة، وعندما ينفصل بنا الكاتب عن الواقع تصبح حركة الزمان غير مرئية أو محسوسة، فدائمًا ما كان يشعرنا الكاتبان بإن المتلقي يعيش داخل آلة الزمن المستقبلية، حيث يعيش أبطال الروايتين في مستقبل العالم الجديد.

والزمن في روايات المستقبل زمن نسبي وفضاؤه المكاني غير مألوف لوعي المتلقي، ومختلف عن حالة الشعور للسارد، فزمن القص نلمسه من بداية انطلاق الرواية سواء أكان محددًا ومرتبطًا بوحدات مكانية معروفة أو مطلقًا بغير تحديد، والقرائن اللفظية في رواية "علم جديد شجاع" غير محددة بزمان، ولكن السارد حدد المكان بدقة وهو العاصمة الإنجليزية لندن، أما

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

"حرب الكلب الثانية" فإن نقطة انطلاقها لم تحدد في الفضائين الزماني والمكاني. أي أن زمن القص ومكانه في الروايتين قد اختفيا، فيما عدا تحديد بسيط لمدينة رواية "عالم جديد شجاع"، وربما كان لهذا الاختفاء غاية فنية، فمدن الديستوبيا مدن خيالية يسبح زمانها في لاوعي المتلقين وتختفي جغرافيتها في عالم غير محسوس، فهي تقدم صياغة جديدة لعالم المستقبل القادم.

وفيما يخص زمن الخطاب في الروايتين تجد الدراسة حرص الرواة على إيهام القارئ به فهو زمن غير ثابت، فدائمًا ما تحدث انتقالات فجائية مرتبطة بحياة الشخصيات في الرواية ومخالفة للواقع، ولكن الثابت الوحيد الذي يستشعره المتلقي دون أن تفصح عنه الروايتين هو حياة هذه الشخصيات في مستقبل خاص بها وبأماكن لها صفات خاص بهذا المستقبل.

ولاحظت الدراسة تلبس زمن الروايتين بحركة دائرية، منبثقة من تقنية العرض الغرائبية، فحالة اللاوقع التي يفرضها النص جعلت من العسير تحديد نقاط البدأ والنهاية في عالم الديستوبيا، كذا فإن استخدام المخدرات خلق أزمنة افتراضية أشبه بالأحلام والهواجس؛ لهذا فإن أحداث الروايتين تدور في حركات استباقية تارة واسترجعية تارة أخرى، فالزمن في مدن الديستوبيا يعاني تشظيًا مقصودًا، ففي رواية "عالم جديد شجاع" نلمح فكرة الاستباق الزمني بدأ من العنوان ورغبته في عالم جديد في المستقبل، أما باقي الرواية فإنها قائمة على فكرة أثر مستحدثات العلم في خلق الإنسان، وتخطيط مستقبل الأطفال المستنسخة بل وتكييفهم على هذا المستقبل منذ الصغر، فينمو كل طفل فيهم وهو يعلم جيدًا ما تسفر عنه كل لحظة في حياته، أي أن العلم في مدن الديستوبيا حقق نصرًا مبينًا على الزمن حينما

اخترق سيرورته وليس هذا فحسب بل أن العلم الحديث استطاع أن يختزل الزمن ويختصر مكوناته فصار اليوم في رواية "علم جديد شجاع" خمس ساعات فقط، والشيء نفسه تحقق في "حرب الكلب الثانية".

إن سيطرة مدن الديستوبيا على مقدرات الإنسان أدت إلى سيطرتها على حركة الزمان فيها، فحدث هذا التداخل في الأزمنة، ومن المقطع السردي الآتي تتضح فكرة السيطرة على الزمن في رواية "علم جديد شجاع" من خلال السيطرة على أقدار البشر يقول : "أننا لا نسمح لهم أن يكونوا كذلك، نحن نحفظهم من الأمراض، ونحافظ على إفرازاتهم الداخلية في حالة توازن مصطنع كأنما في فورة الشباب، كما لا نسمح لمعدل الماغنسيوم والكالسيوم لديهم بالانخفاض عن معدلاتها التي يصل إليها الجسم في سن الثلاثين، بالإضافة إلى أننا ننقل إليهم دماءً شابة، ونبقى على معدل الإحراق لديهم محفزًا بصفة دائمة؛ لذلك لا يبدون هكذا (...) فيظل الفرد شابًا دون اختلال حتى سن الستين تقريبًا"(٤٧) من الواضح سيطرة العلم على الزمان وتجريده من خواصه فلم يعد الفرد يعاني من الشيخوخة أو تقدم العمر أي أن العلم استطاع تثبيت المستقبل في اللحظات الآنية، كما أن الماضي تم دمجه بين الزمنين الحاضر والمستقبل.

وفي رواية "حرب الكلب الثانية" تتحقق فكرة الاستباق الزمني بدأ من العنوان أيضًا فالكاتب يتنبأ بقيام حرب ثانية، وهنا يحدث الاشتباك بين الاسترجاع والاستباق فالتنبؤ بحرب ثانية استدعى التفكير في الحرب الأولى وزمنها وأسبابها، أيضًا اختصرت مستحدثات العلم زمن الإنسان عندما ظهرت آلات القضاء على الشيخوخة واستنساخ بشر بمعايير محددة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إن سيرورة الزمان في المدن الديستوبية سيرورة مرتبطة بحدوث مفارقات ناتجة من التداخل الزمني أحيانًا، أو الخروج من نطاق محدوديته نهائيًا أحيانًا أخرى، ويمكن القول أن أزمنة روايات الديستوبيا أزمنة غير خاضعة للتحديد الزمني الكرونولوجي المقيد بالساعات والأيام والشهور، فهو زمن مفتوح أتي بأحداث لا متناهية، فالروايتان مزدحمتان بأحداث كثيفة مفاجئة دون خاتمة أو نهاية محددة.

عُنيت المقاربات النقدية السردية بربط حركة الزمان بفضاء النص المكاني، كما أن حركة الأحداث واتجاه الرواية له دور غير قليل في صياغة أمكنة الحكي، ولعل أهم ما يميز روايات الديستوبيا هو الفضاء التخييلي بمعطياته الزمكانية المختلفة عن شكول السرد الأخرى، بالإضافة إلى تمركز أحداث روايات المدن المضادة حول فضاءات دالة على ما طرأ على العالم من تغيرات، لذا فإن الدراسة سوف تولى عناية خاصة لعلاقة المكان بعناصر السرد الديستوبي الأخرى من خلال رصد علاقة المكان بالشخصيات والأحداث، والزمان.

إن علاقة المكان بالشخصية في الروايتين موضع التطبيق علاقة متشابكة فالمكان يحدد معايير التعايش الجسدي والنفسي، وتجد الدراسة هذا واضحًا في رواية "هكسلي" و"تصر الله" عندما يفرض المكان على شخصياته صفات جسدية ونفسية وطبقية معينة، فمدن الديستوبيا ليست بالمدن الأليفة؛ وذلك لإن هذه المدن تفرض شروطًا خاصة على شخصياتها بل إنها تقوم بتشكيلهم عبر تقنيات الاستنساخ، فإنسان الديستوبيا إنسان مختلف في عالم مختلف، لا بد وأن يهيأ جسديًا ونفسيًا وفق هذا الاختلاف، أيضًا ربطت الروايتان الشخصيات بتقسيم طبقي فرضته طبيعة المكان أيضًا، حيث صمم

حُكام مدن الديستوبيا على فرض طبائع طبقية صارمة، وهو ما جعل الارتباط النفسي للشخصيات بالأماكن متأرجح بين انتماء وإحباط، فالحُكام يريدونهم منتمين إلى هذه المدن بكل ما فيها من مظاهر فساد وفوضى، والمتمردون على هذا الشكل الغرائبي للمكان ينفرون منه ومن سلطته عليهم، ووضح ذلك في رواية "هكسلي" عندما صارع "البدائي" سلطة المكان متمثلة في "مستر فورد" والأشباه المتماثلة في مجتمعه، كذا فإن "راشد" في رواية "نصر الله" صارع سلطة القلعة الحاكمة، وفي النهاية بحثت شخصيات الروايتين عن سبيل للخلاص من مدن الفوضى والمخدرات والجنس فكان خلاصهم مقررًا إما بالحرب وإما بتعاطي مخدر "سوما"، بهذا يكون المكان قد أدى دورًا محوريًا في توجيه مصائر شخصيات مدن الديستوبيا.

هناك علاقة تكاملية أخرى بين المكان وعناصر السرد الروائي وهي علاقة الحدث بالمكان، فالحدث لا بد له من مكان يحدد اتجاه سيره، كما أن اختلاف الأحداث يتبعه اختلافًا للأمكنة، فالأحداث التي تجري بالبيت تختلف حتمًا عن نظيرتها التي تحدث في الأماكن المفتوحة، وقد تنوعت أماكن الأحداث في روايتي "هكسلي" و"نصر الله"، فكان "الشارع" و"المعمل" و"مراكز التفريغ" أماكن أساسية للأحداث في رواية "عالم جديد شجاع" حيث يسير الحدث الرئيس وهو تخليق أفراد مستنسخين بصفات محددة، داخل المعامل ومراكز التفريغ والتكييف، وتلحظ الدراسة اختفاءً مقصودًا لبعض الأماكن كالبيت والمدرسة ودور العبادة، وذلك لغرض فرضته أحداث مدن الديستوبيا التي تهدم ثوابت المجتمعات اليوتوبية، ومنها الاستقرار العائلي ورمزه البيت، ويتضح من المقطع السردي الآتي التحقير والسخرية من البيت والأسرة واعتبرهما نظمًا قديمة بالية تقول "لينيتا" إحدى فتيات مراكز

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التفريغ "كان البيت مكانًا حقيرًا بائسًا نفسيًا بقدر ما كان كذلك ماديًا لقد كان جحرًا للأرانب، كومة قاذورات، حارًا بالاحتكاكات الناتجة عن حياة مزدحمة ومحاصرة من جميع الاتجاهات تطفح منه العواطف كالروائح الكريهة، يا لها من حميمية تبعث على الاختناق! ويا لها من علاقات خطرة مجنونة بذيئة تلك التي تربط بين أفراد العائلة! فالأم المهوسة تكون حاضنة لأطفالها تمامًا كما تفعل القطة مع أطفالها..."(٤٨)، إن هدم فكرة المكان الحاضن للأسرة غرضه الدعوة إلى الفوضى والفساد وهي غاية المدن الديستوبية لهذا كان اختفاء البيت من المشهد الروائي مقصودًا لتثبيت فكرة الحدث الروائي.

أيضًا فقد البيت في رواية "تصر الله" روحه العاطفية التي تضم الأسر في مودة ورحمة، حتى أضحت وجهات المنازل أسمنتية دون ألوان أو نقوش وحلت المستشفيات محل البيوت في بهائها وجودة الحياة بها، ولعل الكاتب قصد بأسمنتية البيوت جمود الحياة وثباتها في وضع معين أراده لها حُكام القلعة، كما أن البيوت كان لها مهمة أخرى في سردية "تصر الله" وهي مهمة المراقبة والتجسس، فجميع أحداث الحي يرصدها المراقب من شرفات المنازل يقول الكاتب: "صاح رجل ضخم يرتدي قميص أحمر كان يراقب المشهد من الشرفة في الدور الثالث"(٤٩) من الواضح أن صورة البيت في الرواية الديستوبية العربية اختلفت أيضًا كما اختلفت في الديستوبيا الغربية، وإن احتفظت الديستوبيا العربية بوجوده ككيان دال على تدهور مجتمعات المدن الفاسدة، أما الغربية فقد هدمت وجوده تمامًا وهدمت معه كل ما يرتبط به من مثل وقيم مجتمعية.

وأماكن التعلم أو المدارس والجامعات فلا وجود لها في عالم الأشباه في الروايتين؛ وذلك لأن أفراد هذه المجتمعات تم تكييفهم طبقًا لصفات مقدره

لهم سابقًا، كما أن سبل التعلم في رواية "هكسلي" كانت الإيحاء للأطفال أثناء نومهم أو ربط المحاذير شرطيًا بمنفر مؤذٍ لهم، مثل تجربة تنفيرهم من الزهور والكتب(*).

أيضًا ليس غريبًا اختفاء دور العبادة من مدن الفساد والاستنساخ والمخدرات والبغي، فالأديان السماوية وجدت من أجل تهذيب الإنسان وتكريم خلقه وتميز وجوده، أما مدن الديستوبيا فإنها تهدم تابوهات القيم الدينية وتحرق الكتب المقدسة، وتقيم ثوابتها على محرمات الديانات؛ لهذا كان للمكان الغائب دور غير مباشر، فلم نر أبطال "هكسلي" في كنيسة او معبد ولم نشهد "راشد" وحكومة القلعة في "مسجد" أو كنيسة، بل إن أبطال "هكسلي" دعوا إلى حرق الكتب المقدسة وسخروا من مبادئ المسيحية، إنها طبيعة الحدث الذي أراده الكاتب لمدنه وحققها المكان بجودة عالية.

تجدر الإشارة إلى مفارقة أخرى في صياغة المكان الديستوبي وعلاقته بالحدث، عندما انقلبت صورة المستشفى والسجن من أماكن منفرة إلى أماكن أليفة في رواية "حرب الكلب الثانية"، فحول السجن "راشد" من مناضل مهموم بقضايا وطنه إلى أحد حُكام القلعة المسيطرين على هذا العالم الافتراضي إنه إنقلاب دافع إلى حدوث مفارقة مهمة لسير الحدث "...بما يعنيه انقلاب كوني للمرة الأولى في المعتقدات جعلته يقنع نفسه خلال وجوده في السجن، بعد حادث الفيلم، بأن تجد لها، ويعني نفسه، مكانًا في هذا العالم الجديد..."(٥٠) لقد لعب السجن دورًا أساسيًا في سير الأحداث فكان نقطة تحول وصياغة جديدة في حياة "راشد" حتى إنه اتفق مع مدير القلعة على إنشاء سجون خاصة؛ لتدر أموالاً على الحكومة، الأمر نفسه يتكرر في إنقلاب وظيفة المستشفى، فقد أصبحت موردًا للمال ومكانًا محبوبًا

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

"لراشد" يضم مشاريعه المادية والجنسية فهو يمارس حبه المحرم مع سكرتيرته في حجرة ملحقة بحجرة إدارته للمستشفى، بالإضافة إلى تحول المستشفيات إلى أماكن تفريغ للأشباه وعمليات التجميل، أو تحولها لمراكز طباعة أفراد متشابهين في كل الصفات الجسدية والنفسية كما أراد لهم "هكسلي" في روايته "عالم جديد شجاع".

أما المكان / الحدث الذي يشمل أماكن المفارقات الفنتازية في الروايتين فهو مدن العالم الديستوبي، وقد لاحظت الدراسة الاتفاق التام في وصف المدن بين الروايتين العربية والغربية، فهي مدن مظلمة قليلة الأكسجين تنتشر فيها رائحة الموت وجثث الحيوانات، خالية من الحدائق والنباتات، مملوءة بوسائل موصلات غير مألوفة في نقل البشر، فينتقل الناس في "عالم جديد شجاع" بمروحيات بينما ينتقل أفراد "حرب الكلب الثانية" بعربات الإسعاف الطائرة.

وفي المقطع السردي الآتي تتضح صورة من صور المكان في مدن الديستوبيا وهو محرقة لأجساد الموتى من أجل استخراج الفسفور، وفيها وصف لأماكن أقامة مجاميع الأشباه من طبقتي (الألفا) و(البيتا) يقول "هكسلي" "لقد امتدت غابة الزان يبور لهام كبقعة عظيمة حالكة الظالم ترنو نحو الشاطئ (...) ويعلوها برز مصنع الإفرازات الداخلية والخارجية الساطع بإضاءة كهربائية متوهجة قادمة من نوافذها العشرين (...) وفي الجهة المقابلة من الجدار العازل تراصت منازل أصغر حجمًا خصصت للأعضاء من طبقتي (الألفا) و(البيتا) وعقبت الطرق المؤدية إلى خط القطار أحادي القضبان بسواد كثيف (...)، وتعلقت بالمباني المهيبة لمحرقة بلدة سلاو، والتي أضيئت مداخنها الطويلة الأربعة بالكشافات وطليت بإشارات

التحذير باللون الأحمر القاني من أجل سلامة الطيران الليلي، كانت المحرقة معلمًا من معالم المدينة، وتوجد تلك الأشياء التي تشبه الشرفات حول المداخن لاسترجاع الفوسفور (...)، ويقومون باسترجاع ما يزيد عن ثمانية وتسعين بالمائة أي ما يزيد عن الكيلو والنصف لكل جثة فرد بالغ، وهو ما يعتبر مصدرًا رئيسًا لأربعمائة طن من الفوسفور سنويًا في انجلترا بمفردها"(٥١)، وفي الصورة السابقة لمدن الديستوبيا تظهر معالم مكانية يصعب على البشر في عالمنا هذا قبولها، إنها صورة لمكان كريه يمثل عالمًا جديدًا.

وتتشابه المدن الديستوبية في رواية "حرب الكلب الثانية" مع نظيرتها في رواية "عالم جديد شجاع"، فها هي "أم راشد" تحاول الخروج ليلاً فتصف المدينة في أحسن أحوالها قائلة: "لحسن حظها، ذهبت في وقت كانت الشوارع فيه نظيفة، حيث لم تصادف على طول طريقها أكثر من عشرين إلى ثلاثين غرابًا نافقًا (...)"(٥٢)، لقد أنهت رائحة الموت في مدن "نصر الله" وجود الطبيعة والتي وصفها بقوله "طبيعة ماتت"(٥٣).

هناك إشارة أخرى في صياغة صورة المدينة بوصفها مكانًا محركًا للحدث، حيث هدم الكاتبان الصورة المثالية لمدن الحضارات القديمة، فسخر أبطال "هكسلي" من مدن الفراعنة وأرسطو ببنايتها الشاهقة كالأهرامات والمعابد، وعدوها مدنًا بالية يجب محو تاريخها من اذهانهم.

ومما سبق يتضح للدراسة أثر التقاء الزمان بالمكان في وحدة متكاملة ساهمت في خلق محيط فضائي تتحرك فيه الشخصيات والأحداث، "إلا أن الزمان قد يختص بالمظهر الحركي، أي الأفعال، وأن المكان يختص بالجانب السكوني أي الصفات"(٥٤)، فيصبح الهدف المشترك لعنصري الكرونوتوب

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

هو إيضاح الرؤية السردية للكاتب ومن ثمة تحديد ملامح السرد لنوعه الروائي.

والروايتان موضع التطبيق ظهر فيها هذا الارتباط من خلال رصد التغيرات التي طرأت على الانتقالات الزمانية فيجد المتلقي نفسه أمام زمن غرائبي مختزل محدود فرض شروطًا خاصة على أمكنة الأحداث، فعندما يسترجع السارد حدثًا يكون له قصدية استرجاع مكان يرجو محوه من ذاكرة الحاضر، فمدن الديستوبيا تلغي التاريخ الإنساني وأحداثه السابقة بعد أن تسترجعها لتمحو تواجدها، ثم تستبق الوجود الإنساني بمستحدثات العلم؛ لتنبأ بولادة مدن ذات طابع مضاد للمدن القديمة.

المحور الأخير : تمظهرات الشخصية في الرواية الديستوبية:

تحمل الشخصية على عاتقها تنظيم وظائف العمل الروائي وترتيب مهامه، فهي "التي تصنع اللغة وتبث أو تستقبل الحوار، وهي التي تصنع المناجاة.. وهي التي تنهض بدور تضريم الصراع أو تنشيطه من خلال أهوائها وعواطفها وهي التي تقع عليها المصائب.. وهي التي تتحمل العقد والشرور فتمنحه معنى جديدًا وهي التي تتكيف مع التعامل مع الزمن في أهم أطرافه الثلاث: الماضي، الحاضر، المستقبل(٥٥)، فالشخصية هي محور ارتكاز العمل الروائي، وأداة الكاتب التي يحرك من خلالها قدراته الإيحائية.

قسمت الشخصية إلى عدة تقسيمات منها: (رئيسية وثانوية)، و(ثابتة ومتحركة)، و(مركبة وبسيطة)، هذه التقسيمات اختلفت باختلاف رؤية النقاد والباحثين، كذا فإن الدارسين قد نوعوا في تحديد أبعادها الخارجية والداخلية؛ حتى تثبت واقعية الرؤية السردية من ناحية، وتحقق ما أراده

الكاتب لنصه من إيحاء من ناحية أخرى، وقد لاحظت الدراسة معالجة كُتاب الديستوبيا لتمظهرات الشخصية في الروايتين موضع الدراسة من خلال ما يأتي:

أ- تنوعت أنماط الشخصيات في روايتي "عالم جديد شجاع" و"حرب الكلب الثانية" وتوزعت بكثافة داخل العملين، وكان منها المرئي المحسوس وغير المرئي المسموع عنه فقط من خلال الأحداث، مما أسفر عنه غياب الصورة المتكاملة لأبعادها الدقيقة – إلا فيما ندر وجاءت البطولة في رواية "هكسلي" بطولة جماعية للمراقبين والمديرين لمراكز تفريغ الاشباه، كما أن انتشار الأشباه جعل المتلقي يستشعر بطولة القطيع، وإن تطلب الصراع في الأحداث بروز شخصية ساعية إلى هدم مبادئ المدن الديستوبية، فأطلق عليها الكاتب اسم "البدائي" وكان للتسمية قصدية، فهو (بدائي) لإنه تمسك بالعالم القديم حيث مدن اليوتوبيا والتاريخ والحضارة.

كذا فإن رواية "نصر الله" حرب الكلب الثانية احتشدت بعدد غير قليل من الشخصيات، ولكن "نصر الله" كان أكثر قدرة على تقديم الشكل الحكائي المتكامل، فللحكاية لديه خط سير يسهل تتبعه، بعكس الشكل السردي عند "هكسلي" الذي جعل روايته أقرب إلى اللقطات السينمائية التي لا يجمعها نظم واحد ولا نمط خطي لحدثه الروائي، بل هي قصة مستجدات علمية لا يتقيد الكاتب فيها بترتيب معين ولا يعبأ بتقديم تحليل لشخصياتها، فقط يجاور الكاتب بين أفكاره وفقًا لأسبقية وجودها في ذهنه، لهذا كان "لنصر الله" ميزة عن نظيره في المقارنة "هكسلي" حيث أجاد "نصر الله" صنع حكايته وتحليل شخصياته وترابط عناصر سرده.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(ب) أنواع الشخصيات :

قسم الكاتبان شخصيات روايتهما طبقًا لوظيفة كل شخصية في الأحداث فكانت شخصيات "هكسلي" متساوية في أوضاعها فلم تنفرد شخصية ببطولة مطلقة، وذلك لانعدام الشكل القصصي التقليدي لديه، بالإضافة إلى استلهام "هكسلي" لشخصيات تاريخية وعلمية وأدبية معروفة، استعان بها لأداء قصير في مقاطع روايته المختلفة، والتي جاءت كالتالي:

١- برنارد ماركس : مقتبس من جورج برناردشو الكاتب المسرحي والفيلسوف والناقد أو مقتبس من كارل ماركس.

٢- لينيا كراون : مقتبس من فلاديمير لينين قائد البلشفية في روسيا.

٣- فاني كراون : اقتبس الاسم من فانيا كابلان التي قامت بمحاولة اغتيال فلاديمير لينين، وفي الرواية سخرية مقصودة يجعل لينيا كراون وفاني كراون أصدقاء.

٤- يولي تروتلسكي : اسم قائد الثورة الروسي ليون تروتسكي.

٥- بينيتو هوفر: مقتبس من دكتاتور إيطاليا بينيتو موسوليني، وهوفر يقود إلى الرئيس الأمريكي هربرت هوفر.

٦- هلمهلتز واطسن: مقتبس من عالم الفيزياء والطبيب هرمان فون هلمهولتز، و"واطسن" لعالم السلوكيات الأمريكي "جون برودس وطسن".

٧- داروين بونابرت : اقتبس من نابليون بونابرت، وتشارلز داروين مؤلف كتاب أصل الأنواع.

٨- هربرت باكونين : اقتبس عن هيربرت سبينسر فيلسوف إنجليزي، وميخائيل باكونين فيلسوف روس.

٩- مصطفى منذ : اقتبس عن مصطفى كمال أتاتورك مؤسس تركيا الحديثة بعد الحرب العالمية الأولى، و"منذ" اقتبس من "ألفرد منذ" مؤسس المصانع الكيميائية الاستعمارية*.

الشخصيات المقتبسة السابقة يُضاف إليها شخصيات بمسميات عامة مثل (مدير مركز التفريغ، معين الأقدار، المراقب)، كلها لعبت دور البطولة الجماعية، بغية ترسيخ مفاهيم علمية قامت عليها مدينة "هكسلي" الديستوبية، والتي لا تهتم إلا بإقرار قواعد علمية خيالية مما يؤدي إلى اختفاء دور البطل الأوحد، فالصراع هنا صراع كوني وليس فردي، وإن برزت في نهاية الرواية شخصية ذات مسمى عام وهي شخصية "البدائي" أو الطرف الآخر الممثل للعالم القديم.

ويمكن القول أن رواية "هكسلي" الديستوبية قد خلت من التقسيم التقليدي للشخصيات، فلم نر بطولة فردية مطلقة، ولم يلمح المتلقي شخصيات مهمشة أو مساعدة، فالجميع يظهر ويختفي في مشاهد سردية متقطعة دون طغيان شخصية على أخرى.

أما "نصر الله" فقدم النمط التقليدي لأنواع الشخصيات والتي تنوعت بين شخصيات رئيسية وثانوية وهامشية، وذلك لعدم خروج "نصر الله" عن الشكل الروائي المعروف، وجاءت أنواع الشخصيات الروائية في ديستوبيا "حرب الكلب الثانية" كالآتي:

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١- الشخصيات الرئيسية:

يعد "راشد" في "حرب الكلب الثانية" الشخصية الرئيسية الأولى والتي تحتل دور البطولة، وبؤرة الحدث السردي، فهو شخصية تحمل متناقضات العمل وأهدافه، فمنذ أن خطها الكاتب وأطلق عليها اسم "راشد" وهي تشي بعناصر تكوين الحدث الرئيس، واسم "راشد" فاعل دال على الالتزام والاستقامة وهو ما يناقض صفاتها السلوكية في الرواية، بل إن قوة ذكائه دمرت معالم الحق والخير والجمال في مدينته.

الشخصية الرئيسية الثانية في رواية "نصر الله" هي شخصية (سلام) التي لها حضور كبير في الحدث ولكنها لا تتساوى مع البطولة المطلقة لـ "راشد"، فهي زوجة راشد وأخت أحد ضباط القلعة المسيطرين على حكم المدينة، وهي الدافع الذي جعل راشد يستنسخ من سكرتيرته صورةً منها، مما ساعد على انتشار فكرة الأشباه والفوضى والحرب.

الشخصية المحورية الثالثة هي شخصية "الراصد الجوي" أو الوجه الثاني للعملة، فقد استنسخ نفسه من صورة "راشد" ليتمتع بميزاته الوظيفية والجنسية.

٢- الشخصيات المساعدة :

ويقصد بالشخصيات المساعدة هنا هي كل شخصية "تضيء الجوانب الخفية لشخصية رئيسية"(٥٦)، ورغم أن الكاتب لم يفرد لها مساحات متعددة في النص فإنها شخصيات لا يمكن الاستغناء عنها ومنها شخصية سائق الإسعاف ذلك الذي أخذ شبه "راشد" بعد انتشار فكرة الاستنساخ، والذي انتقم منه راشد بعد قتله بمعاشرة زوجته.

شخصية المدير العام : أو مدير القلعة الذي عذب "راشد" وحوله إلى مسخ ديستوبي يستخدم عقله في تدمير العالم وإخضاعه لسيطرته، كما أن "المدير العام" هو المتحكم في السجون والمستشفيات، ومشاريع "أسرى الأمل ١، ٢".

٣- شخصية "الرجل ذو القميص الأحمر" وهي شخصية ظهرت في نهاية الرواية بشكل أكثر كثافة، فقد كان لها ظهور بسيط ومتقطع في سائر الرواية، وتعد هذه الشخصية هي المحرض الأول على قيام الحرب، فهو من حرض على انتشار فكرة قتل الأشباه.

وتلحظ الدراسة اقترابًا بين الروايتين في حشدهما لعدد كبير من الشخصيات وأطلاق مسميات عامة على بعضها مثل (الراصد الجوي، السائق، زوجة السائق، المدير العام)، كما تلحظ الدراسة انتشار شخصيات هامشية تملأ فراغات النص الروائي مثل "شخصيات الأشباه وعمال النظافة والممرضات في "عالم جديد شجاع" وشخصيات "صديق راشد، أم راشد، مرام، عمال المستشفى، المرض، رجال الأمن" في "حرب الكلب الثانية".

(ب) أبعاد الشخصيات

تطل علينا روايتي "هكسلي" و"نصر الله" بأبعاد خيالية ممزوجة بواقع غير مألوف لشخصيات روايتي "عالم جديد شجاع" و"حرب الكلب الثانية"، مع تناول غير مباشر لأبعاد تلك الشخصيات، ففي بعض الأحيان، ترك المؤلفان للمتلقي مهمة استنباط الأبعاد النفسية أو الاجتماعية لكثير من الشخصيات، كما أن الروايتين لم تهتما بالتفاصيل الدقيقة للشخصيات، إلا فيما يخص وضع معايير استنساخ الأفراد، وتكييفهم نفسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا وفق

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

قواعد ثابتة أرادها لهم حُكام مدن الديستوبيا، وقد خلت رواية "علم جديد شجاع" من أي تفاصيل خاصة بأبطال الرواية أو شخصياتها المساعدة، بل تُرك للمتلقي حرية التخيل والاستنباط، ولكن الرواية اهتمت برسم صفات الأشباه الجسدية والنفسية والاجتماعية، في مملكة "فورد" الديستوبية، بغية تفريغ قطعان من البشر يعيشون حياة بلا خصوصية وينتمون لمبدأ (الجميع ينتمي للجميع).

أما "نصر الله" فقد اهتم برسم صورة البطل "راشد" وتعريفنا بأبعاده الجسدية والنفسية والاجتماعية، ولعل هذا لاهتمام كاتبنا بتحقيق لذة القص للمتلقي واكتمال تعريفنا بصفات شخصيات مدن الديستوبيا ودوافع خروجها عن المألوف وفي المقطع السردي الآتي تتضح صفات بطل الرواية "راشد" الجسدية والنفسية يقول "راشد قصير يلبس نظارات سميكة للغاية.. يثبتها فوق أنف صغير، يجتمع تحته كختم نافر شاربان كثيفان لا يفيضان عن طرفي فمه، وينتهيان بقطع حاد بزاوية تسعين درجة، ليست هذه سخرية أيضًا ولا محاولة للتعريض بذلك الصنف من المخلصين المستميتين في الدفاع عن معتقداتهم باعتبارها الخلاص الوحيد للبشرية، والذين يمكن للمصادفة، أن يتحول كثير منهم إلى سفاحين أو فاشيين بسهولة"(٥٧) وفي مقطع سردي آخر يوصف راشد بذكائه الحاد الذي فتح له أبواب السلطة والمال، ومما سبق تتضح الأبعاد الجسدية لراشد والتي توحي للمتلقي أنه أمام شخصية مثقفة حادة (زاوية شاربة تسعين درجة)، كما أن الكاتب دلف إلى صفاته النفسية التي أهلته لبطولة إحدى روايات مدن الديستوبيا، ومنها إصراره على تثبيت قواعد الحياة الفاسدة في مدن تمتلأ بالفقر والمرض

والجنس والمخدرات، فهو سفاح فاشي منتمي لطبقة حُكام القلعة التي صنعت هذا العالم اللامعقول.

وتعد شخصية "راشد" نموذجًا تطبيقيًا على رسم الأبعاد الثلاث للشخصية في رواية "نصر الله" الممثلة للنموذج الديستوبي، ولا يمكن أغفال اهتمام الكاتب بالحديث عن أبعاد شخصياته الأساسية ومنها شخصية "سلام" و"السكرتيرة" والراصد الجوي، وكلها تهتم بالأبعاد الجسدية بشكل أساسي، وربما كان هذا الاهتمام بالبعد الجسدي خاصة؛ لإن هذه الشخصيات كانت محورًا لقضية الجنس في الرواية.

ويلاحظ على الروايتين اختفاء الدور المؤثر للمرأة بوصفها من أهم تصنيفات الشخصية في الرواية، فلم تحظ باهتمام الكاتبين ولم يكن لحضورها صورة إلا من خلال دورها البيولوجي في الحياة الجنسية، فهي نموذج البغي عند "هكسلي" والمتعة عند "نصر الله".

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

النتائج

وبعد .. فقد خلصتْ الدراسة إلى عدة نتائج منها:

١- انفتاح آفاق الجنس الروائي على فضاءات تخييلية وواقعية جديدة فتملأ بعوالم دلالية مستحدثة استطاع أن يستوعبها بنجاح، وكان منها التشكلات اليوتوبية والملامح الديستوبية، التي احتشدت بأحداث غرائبية، واستوعبت روافد لا محدودة من الافتراضات المستقبلية.

٢- يعد النص الروائي الديستوبي تشكيلاً جديدًا لرؤية العالم والقيم والمعايير، وهو رؤية جديدة تعبر عن المقلق والعجائبي، وفيه يتحرر الخيال ويتجاوز الواقع.

٣- ارتبط الأدب الديستوبي بالخيال العلمي الذي حقق له نقدًا للنظم والقوانين التي ارتبطت بمدن اليوتوبيا، فساعدت التجارب العلمية الجديدة على انتشار أفكار لا معقولة تنذر بنهاية الإنسان.

٤- ساهمت روايات الديستوبيا الغربية في تحديد مسار الروايات الديستوبية العربية، وذلك لأسبقية حضورها في الفكر النقدي الغربي.

٥- استطاع المنهج المقارن أن يحدد نقاط الالتقاء والاختلاف في ملامح الرواية الديستوبية العربية والغربية من خلال التطبيق على نموذجين مختلفين لحضارتين ولغتين متباينتين وهما النموذج الغربي وتمثله رواية "عالم جديد شجاع" لـ "ألدوس هكسلي" والنموذج العربي وتمثله رواية "حرب الكلب الثانية" لـ "إبراهيم نصر الله".

٦- اتضحت ملامح الديستوبيا في الروايتين موضع الدراسة في نقاط ألتقت فيها الرواية الغربية بالرواية العربية، فاتفقا في المضامين العامة واختلاف في صياغة الأحداث ومن الملامح الديستوبية التي تجلت بوضوح في الروايتين المراقبة، والاستنساخ، والتقسيم الطبقي، وسيطرة الحكام، وهدم التاريخ ومحو الماضي، وانهيار الدين، وانتشار البغي والجنس المحرم، وموت الموت.

٧- تشكلت آليات السرد الديستوبي عند "هكسلي" و"نصر الله" عبر تقنيات مترابطة في حلقات متصلة فكان العنوان هو النص الموازي الذي حمل علامات سيميائية إرشادية لفكرة العالم الجديد والحروب غير المنتهية، كذا فإن الرؤية السردية كشفت عن احتياج هذا النوع من النصوص الروائية إلى تعدد الرواة وتنوع في أساليب الخطاب السردي.

٨- تقاطعت الفضاءات الزمانية والمكانية في منظومة الكرونوتوب، فظهر التناسق بين التصورات الاستشرافية الزمانية وبين تلك الأماكن الهلامية لمدن تسعى إلى تغييب العقل البشري في فضاء لا محدود.

٩- كان لشخصيات السرد الديستوبي سمات خاصة وإن اختفت أسماء العديد من الشخصيات في الروايتين؛ ولعل مرجع هذا إلى أن المسميات غير مهمة في عالم الجميع ينتمي للجميع، بالإضافة إلى أنه يمكن القول بإن البطولة في السرد الديستوبي كانت بطولة جماعية.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الهوامش

(١) راجع : خالد سعيد : الملامح الفكرية للحداثة، فصول، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج ٤، ع ٣، ص (٢٢) وما بعدها.

(٢) ديفيد سيد : مقدمة قصيرة جدًا الخيال العلمي، ت : نيفين عبد الرؤوف، مراجعة هبه عبد المولى، القاهرة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٦، ص ٨١.

(٣) نفسه : ص ٨٢.

(٤) راجع : إبراهيم نصر الله، ويكيبيديا .wiki<http://arz.m.wikipedia.org

(٥) منة الله الأبيض : إبراهيم نصر الله (أتمنى ألا تتحقق نبوءة حرب الكلب الثانية)، ثقافة وفنون، القاهرة، الأهرام، مقال اليكتروني ٢٠١٨/١١/٢٤م.

(٦) سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة – لبنان – دار الكتاب اللبناني، ط الأولى، ١٩٨٥، ص ٨.

(*) راجع : يوتوبيا – ويكيبيديا .wiki<http://arz.m.wikipedia.org

(٧) ماريا لويزا برنيرى : المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ت : عطيات أبو السعود، م. عبد الغفار مكاوي، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٧، ص ٨.

(٨) Darko Suvin, Defined by Hollow: Essay son Utopia, Science Fiction and political Epistemology, Oxford : Peter Lang, 2010, p. 20.

(٩) سناء الشعلان : أدب اليوتوبيا والبحث عن العالم المثالي، بوابة أفريقيا الإخبارية، تاريخ النشر ٥ أكتوبر ٢٠١٤م.

(*) نفسه .

(١٠) راجع : إيمان تاور سارجنت : اليوتوبية، ت. ضياء ورّار، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط. الأولى، ٢٠١٦، ص ٣٢ : ٣٣.

(١١) فاطمة برجكاني : الديستوبيا (المدينة الفاسدة) في الرواية العربية المعاصرة، مجلة إضاءات نقدية (فضيلة محكمة) – السنة الثامنة، العدد التاسع والعشرون – ربيع ١٣٩٧ / آذار ٢٠١٨ – ص ١٣٦.

(١٢) خالد بلقاسم : الحُكم على أدبية الديستوبيا، الدوحة، ثقافية شهرية، وزارة الثقافة والرياضة – الدوحة، العدد (١٤٨)، السنة الثالثة عشـــرة، جمـــادى الآخرة ١٤٤١هـــ – فبراير ٢٠٢٠، ص ٢٥.

(١٣) نفسه : ص ٢٦.

(١٤) راجع : نادية صالح، كيف نشأ الأدب الديستوني وما هي أفضل روايات أدب الديستوبيا؟، مقال بتاريخ ٢٦ فبراير ٢٠١٨، http://www.ts3a.com

(*) نفسه.

(١٥) فاروق شوشة، محمود علي مكي: معجم مصطلحات الأدب: مجمـــع اللغـــة العربية، المحقق سميرة صادق شعلان، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٨٤.

(١٦) Aldous Leonard Huxley : Brave New World, http://www.idph.net18. De maio de 2002, p. 28.

(١٧) إبراهيم نصر الله : حرب الكلب الثانية، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط. الأولى، ٢٠١٦م، ١٤٣٧هـــ، ص ٦٤.

(*) راجع : مقدمة رواية حرب الكلب الثانية، نفسه، ص ٢.

(١٨) Aldous Huxley : op.cit, p. 8

(١٩) إبراهيم نصر الله : حرب الكلب الثانية، ص ١٠٣.

(٢٠) Aldous Huxley : op.cit, p. 12

(٢١) إبراهيم نصر الله : حرب الكلب الثانية، ص ١٠٤.

(٢٢) Look : Aldous Huxley, op. cit, p. 41, 86

(٢٣) إبراهيم نصر الله : حرب الكلب الثانية، ص ٢٤.

(٢٤) Aldous hexley, op. cit. , p. 195

(٢٥) Ibid, 49.

(٢٥) إبراهيم نصر الله : حرب الكلب الثانية، ص ٢٠.

(٢٦) Look: Aldous Huxley, op. cit, p. 310

(*) Look; Ibid, p. 211

(٢٧) Ibid, p. 111

(*) Ibid, p. 124

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(٢٨) Ibid, p. 133

(*) راجع : إبراهيم نصر الله : حرب الكلب الثانية، ص ١٠٤ وما بعدها.

(٢٩) Look: Aldous Huxley, op. cit, p. 213

(٣٠) إبراهيم نصر الله: حرب الكلب الثانية، ص ٤٦.

(٣١) سعيد يقطين: السرد العربي (مفاهيم وتجليات)، القاهرة، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط ١٠، ٢٠٠٦، ص ٧٢.

(٣٢) لطيف زيتوني : معجم المصطلحات (نقد الرواية)، لبنان، دار النهار، ط ١٠، ٢٠٠٢، ص ١٠٥.

(٣٣) بلال عبد الرازق : مدخل إلى عتبات النص، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق للنشر، ط ١ ، ٢٠٠٢، ص ١٦.

(٣٤) بلعابد عبد الحق: عتبات جيرار جنيت، تقديم : سعيد يقطين، الجزائر، الدار العربية للعلوم، ط ١٠، ٢٠٠٨، ص ٤٤.

(٣٥) نفسه ص ٨٦، ٨٧.

(٣٦) تزفيتان تودروف : مقولات السرد الأدبي، ت: الحسين سحبان وفؤاد صفا، الرباط، اتحاد كتاب المغرب، ط ١٠، ١٩٩٢، ص ٦١.

(٣٧) عبد الله إبراهيم: المتخيل السردي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط ١٠، ١٩٩٠، ص ١١٩.

(*) راجع في هذا الصدد: تزفيتان تودروف، مقولات السرد الأدبي، السابق، وعليان حسن: تعدد الأصوات والأقنعة في الرواية العربية، دمشق، مجلة جامعة دمشق، العدد الأول، م ٢٤٠، ٢٠٠٨.

(٣٨) Look: Aldous Huxley, op. cit, p. 33

(٣٩) إبراهيم نصر الله: حرب الكلب الثانية، ص ٢٠.

(٤٠) Look: Aldous Huxley, op. cit, p. 299

(٤١) إبراهيم نصر الله: حرب الكلب الثانية ، ص ٣٤.

(٤٢) راجع : حميد حمداني : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط ١٠، ١٩٩١، ص ٧٧.

(٤٣) Look: Aldous Huxley, op. cit, p. 43

(٤٤) إبراهيم نصر الله، حرب الكلب الثانية ، ص ٥٢.

(٤٥) ميخائيل باختين : أشكال الزمان والمكان في الرواية، ت. يوسف حلاق، دمشق، وزارة الثقافة، ط ١٠، ١٩٩٦، ص ٥.

(٤٦) نفسه : ص ٦.

(٤٧) Aldous Huxley, p. 145, 146.

(٤٨) Ibid, p. 53

(٤٩) إبراهيم نصر الله : حرب الكلب الثانية ، ص ٢١٥.

(*)Look: Aldous Huxley, op. cit, p. 192

(٥٠) إبراهيم نصر الله، حرب الكلب الثانية ، ص ٢٠.

(٥١) Look: Aldous Huxley, op. cit, p. 95, 96, 97.

(٥٢) إبراهيم نصر الله : حرب الكلب الثانية، ص ٢٦، ٢٧.

(٥٣) نفسه : ص ٣١.

(٥٤) عبد الرحيم الكردي : السرد في الرواية المعاصرة (الرجل الذي فقد ظله نموذجًا)، القاهرة، مكتبة الآداب، ط ١٠، ٢٠٠٦، ص ١٨٧.

(٥٥) عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية، الكويت، عالم المعرفة، ط ١، ١٩٩٨، ص ٩١.

(*) راجع : ويكيبيديا wiki<http:ar.m.wikipedia.org

(٥٦) صبيحة زعرب : جماليات السرد في الخطاب الروائي، عمان، دار مجدلاوي، ط ١٠، ٢٠٠٦، ص ١٣٢.

(٥٧) إبراهيم نصر الله : حرب الكلب الثانية، ص ٢٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٩٥٦٧
٢-	Abstract	٩٥٦٩
٣-	مقدمة	٩٥٧١
٤-	- المبحث الأول : مفاهيم نظرية:	٩٥٧٨
٥-	أ- اليوتوبيا (Utopia)	٩٥٧٨
٦-	ب- الديستوبيا (Dystopia)	٩٥٨٠
٧-	ج- السرد الديستوبي بين الشرق والغرب	٩٥٨٣
٨-	د- أدب الخيال العلمي والرواية الديستوبية	٩٥٨٦
٩-	- المبحث الثاني : ملامح الديستوبيا في روايتي عالم جديد شجاع وحرب الكلب الثانية	٩٥٨٧
١٠-	أ- المراقبة والقضاء على خصوصية الأفراد	٩٥٨٧
١١-	ب- الاستنساخ وفقدان الهوية	٩٥٨٩
١٢-	ج- التقسيم الطبقي وسيطرة الحكام	٩٥٩٣
١٣-	د- هدم التاريخ ومحو الماضي	٩٥٩٦
١٤-	هـ- مدن اللادين.	٩٥٩٨
١٥-	و- الجنس والحرية	٩٦٠٠
١٦-	ز- موت الموت	٩٦٠٢
١٧-	- المبحث الأخير : آليات السرد الديستوبي في روايتي "عالم جديد شجاع" و"حرب الكلب الثانية"	٩٦٠٥
١٨-	- مدخل	٩٦٠٥

م	الموضـوع	الصفحة
١٩-	- المحور الأول : النص الموازي وسيمياء العنوان	٩٦٠٧
٢٠-	- المحور الثاني : الرؤية السردية	٩٦١٠
٢١-	- المحور الثالث : بنية الكرونوتوب في روايات الديستوبيا	٩٦١٦
٢٢-	- المحور الأخير : تمظهرات الشخصية في الروايات الديستوبيا	٩٦٢٦
٢٣-	النتائج	٩٦٣٤
٢٤-	الهوامش	٩٦٣٦
٢٥-	فهرس الموضوعات	٩٦٤٠

تم بحمد الله